الفصل الثالث

الإســـلام والقـلب

القلب هو مستقر الاعتقاد والإيمان ، وهو مجمـــع الوجـــدان والمـــشاعر ، وهـــو مستودع الأسرار ، كما أنه منبع الذوق الفني والإحساس بالجمال والتناسق .

والقلب متقلب : يحب ويكره ، ويعمى ويبـــصر، ويفـــرح ويحـــزن ، ويطمـــئن ويخاف، ويصح ويمرض ، ويَرِقُّ ويغلظ ، ويرحم ويقسو ...

ويحـــتاج إلى الإيمان والإحســـاس بالأمن ، والحب ، والجمـــــال ، والقبـــول ، والتناسق والنظام ...

ولكن كيف تعامل الإسلام مع القلب ؟

لقد خلق الله تعالى القـــلب أميراً وجعل له سائر الأعضـــاء له رعيـــة يـــأتمرون بأمره وينتهون بنهيه ، فإذا صلح القلب صلح سائر الجسد ، وإذا فسد فـــسد ســـائر الجسد .

" إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ " (متفق عليه)

لقد سبق النبي الأعظم ﷺ علماء الغرب إلى الحديث عن دور القلب وأهميته فـــي صلاح النفس، بل إنه جعل للقلب دوراً مركزياً فإذا صلح هذا القلـــب فـــإن جميـــع أجهزة الجسد ستصلح، وإذا فسد فسوف تفسد جميع أنظمة الجسم، وهذا مـــا نـــراه اليوم وبخاصة في عمليات القلب الصناعي، حيث نرى بأن جميـــع أنظمـــة الجـــسم تضطرب . [1]

أنواع القلوب

والقلب أنواع أربعة بيَّنها لنا الرسول الكريم .

---

(١) موقع عبد الدائم الكحيل " أسرار الإعجاز العلمي في القرآن والسنة " على الإنترنت .

" القلوب أربعة : قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر وقلب أغلف مربوط على غلافه وقلب منكوس وقلب مصفح .

فأما القلب الأجرد : فقلب المؤمن سراجه فيه نوره . (أي ليس فيه غلٌّ ولا غشٌّ ، فهو على أصل الفطْرة ، فنور الإيمان فيه يُزْهر) .

وأما القلب الأغلف : فقلب الكافر.(فقلب الكافر عَلَيه غِشَاءٌ عن سَماع الحَقّ وقَبوله)

وأما القلب المنكوس: فقلب المنافق عرف ثم أنكر . (فذلك قلب رجع إلى الكفر بعد الإيمان)

وأما القلب المصفح : فقلب فيه إيمان ونفاق فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والدم ، فأي المدتين غلبت على الأخرى غلبت عليه . " (المُصْفَح: الذي له وجْهان يَلْقى أهلَ الكُفْر بوجْهٍ وأهلَ الإيمان بوجْه. وصَفْحُ كل شيء: وجهُه وناحيتُه)

(أخرجه أحمد وقال ابن كثير: إسناده جيد حسن)

القلب محل أمانة الدين

ولقد شاءت حكمة الله أن جعلت القلب محلاً لأمانة الدين كما بين ذلك النبيﷺ

" أَنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ . ثُمّ نَزَلَ الْقُرْآنُ . فَعَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ وَعَلِمُوا مِنَ السّنّةِ " (متفق عليه)

تلك الأمانة التي كلف الله تعالى بها عباده ، والتي أشفقت السموات والأرض من حملها .

{ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا } (الأحزاب : ٧٢ –٧٣)

وبعد أن جعل الله تعالى أمانة الدين في قلب الإنسان أنزل الله تعالى الرسل والكتب ليتعلم الإنسان كيف يؤدى هذه الأمانة .

{ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللّهِ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ } (البقرة : ٩٧)

أي أنزل الله تعالى القرآن على قلب النبي ﷺ لأن القلب هو محل الأمانة والإيمان.

والقلب الذي لم ينشرح للإيمان بالله وكتبه ورسله ضال وإن حصَّل معارف الدنيا جميعها ألا ترى أن العالم وصل إلى قمة التقدم العلمي والتقني ومع ذلك فإن كثيراً من سكانه لا يؤمن بالله تعالى { الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى } (الأعلى : ٢ : ٤)

إن هؤلاء الكفرة لا يشك في صحة عقولهم إنما عميت قلوبهم عن رؤية الحق بيقين .

فالإيمان بالله لا يحتاج إلا لقلب سليم وعقل صحيح [١] وهما أعدل الأشياء قسمة بين البشر فكل إنسان يولد بهما صحيحين ، لكن المعاصي والفتن تطمس على القلوب فلا تنشرح للهدى وإن حاز صاحبها علم الأولين والآخرين ، أما إذا بقى القلب على أصل الفطرة فإنه بقليل من التدبر في الخلق ، أو عند سماع الهدى فإنه ينشرح للإيمان ويصدق بآيات الرحمن ، إن دين الله لا يحتاج لعبقري لكي يصدق به إنما يحتاج لسليم الفطرة ، سليم القلب لكي يؤمن به وإن لم يرزق نعمة البصر .

{ أَ فلم يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ } (الحج : ٤٦)

فالعمى عن الحق ليس عمى بصر إنما عمى القلب ، وجحود الإيمان ليس اختلال عقل إنما اختلال تدبر وتفكر .

{ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاء وَنِدَاء صُمٌّ بُكْمٌ عُمْى فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ } (البقرة : ١٧١)

فالذي لا يؤمن بالله ليس فاقداً للحواس بل فاقد للإحساس فهو " أصم" عن سماع الحق ، " أبكم " عن التكلم به " أعمي" عن الإبصار له .

ويبين لنا القرآن الكريم أن الذين كفروا لم يكفروا بسبب الجهل بالحق إنما بسبب إنكارهم له بعد إذ بينه الله لهم .

---

(١) فالجنون ، وعدم اكتمال نضج العقل يرفعان التكليف عن الإنسان لقول النبي ﷺ : " رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ. وعن الصبي حتى يحتلم. وعن المجنون حتى يعقل " .

{ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } (الجاثية : ٢٣)

{ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاء وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلا مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ } (الشورى : ١٣ – ١٤)

ولقد خلق الله تعالى الإنسان مهيئاً لتحمل الأمانة ففطره على الإسلام : بقلب سليم يميل للإيمان بالله ، وعقل صحيح يُدلل على وجوده سبحانه ، ونفس تطمئن بشرعه، وجوارح تسكن بطاعته جل في علاه .

{ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا } (الروم : ٣٠)

وهو معنى قوله ﷺ : " مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ) (متفق عليه)

إذن فقد فطر الله القلب على الإيمان به – سبحانه – وخشيته ومحبته ، وأنزل الله الأديان وأرسل رسله الكرام لكي يعلموا الإنسان تفاصيل الإيمان وكيفية عبادة الله تعالى ، ومنهجه وشريعته ، فإذا تمكن الإيمان من قلب العبد قام حينئذٍ بأداء ما فرض الله عليه وانتهى عما نهاه عنه سبحانه ففاز في الدارين .

روى عن ابن مسعود قال: قلنا يا رسول الله قوله تعالى: "أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه" كيف انشرح صدره؟ قال: (إذا دخل النور القلب انشرح وانفتح) قلنا: يا رسول الله وما علامة ذلك؟. قال: (الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله) (رواه عبد الرزاق ، وابن جرير بنحوه وأخرجه ابن أبى حاتم).

أي إذا دخل الإيمان قلباً فإن صاحبه يكون همه طاعة الله في الدنيا للفوز برضا الله في الآخرة ، ولن يتأتى ذلك إلا بتطهير القلب من كل الشرور والآثام ، والتحلي بالإيمان وحسن الخلق .

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قلنا يا رسول الله من خير الناس؟ قال "ذو القلب المحموم واللسان الصادق، قلنا: قد عرفنا اللسان الصادق فما القلب المحموم؟ قال: التقى النقي الذي لا إثم فيه ولا بغى ولا غل ولا حسد. قلنا يا رسول الله: فمن على أثره ؟ قال: الذي يشنأ – يكره – الدنيا ويحب الآخرة، قلنا ما نعرف هذا فينا إلا رافعاً مولى رسول الله ﷺ فمن على أثره ؟ قال: مؤمن في حسن خلق. قلنا: أما هذا ففينا . " (رواه ابن ماجه بإسناد صحيح)

والإيمان الصحيح تصديق بالقلب وعمل بالجوارح ، ولقد قرن الله تعالى الإيمان بالعمل الصالح في أكثر من خمسة وثلاثين موضعاً في آي القرآن الكريم منها :

{ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ } (البقرة : ٢٥)

{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ } (البقرة : ٢٧٧)

ولقد بشر الله تعالى الذين آمنوا وعملوا الصالحات في أكثر من ثلاث عشرة آية منها بالجنة وما فيها من نعيم دائم منها.

{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُواْ إِلَى رَبِّهِمْ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } (هود : ٢٣)

وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ } (إبراهيم : ٢٣)

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً {٣٠} أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً } (الكهف : ٣٠ – ٣١)

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً {١٠٧} خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً } (الكهف : ١٠٧ – ١٠٨)

{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ } (يونس : ٩)

ولقد جعلهم الله تعالى الذين آمنوا وعملوا الصالحات أحسن خلقه ، وفضلهم على كل من خلق تفضيلاً .

{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ } (البينة : ٧)

وذكر الله تعالى أنهم قليلون .

{ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنْ الْخُلَطَاء لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ } (ص : ٢٤)

" وأصل الإيمان التصديق، وأصل الإسلام الاستسلام والانقياد، فقد يكون المرء مستسلماً في الظاهر غير منقاد في الباطن ، وقد يكون صادقاً في الباطن غير منقاد في الظاهر . و جعل النبي ﷺ " الإسلام " اسماً لما ظهر من الأعمال، وجعل " الإيمان " اسماً لما بطن من الاعتقاد " [١]

فإذا تطهر القلب من أمراض القلوب وامتلأ بأنوار الإيمان فليس لصاحبه إلا الجنة ، أما إن أطاع الشيطان ، واتبع هواه ، وغرته الحياة الدنيا ، وانغمس في الشهوات انطفأ نور الله الذي يملأ قلبه، وصار قلبه أسود مظلماً فيطبع الله عليه.

ولقد شاءت حكمة الله تعالى أن يجعل الدنيا دار بلاء وفتن وغرور للإنسان {لِيَمِيزَ اللّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ } (الأنفال : ٣٧)

أعوان الإنسان على الإيمان والطاعة

ولقد جعل الله تعالى للإنسان أعواناً على الإيمان والطاعة :

١- **الروح** : وهى نفخة من روحه سبحانه { فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ } (ص : ٧٢) وهى تهفو إلى معرفة الله ، وتطمئن بالإيمان به و تسكن بعبادته جل وعلا .

{ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا } (الروم : ٣٠)

٢- **العقل** : وهو ما يميز به الحق من الباطل ، الخير من الشر " ويصف حجة الإسلام الغزالي العقل بأنه (أنموذج من نور الله) ويصفه الجاحظ بأنه (وكيل الله

(١) صحيح مسلم بشرح النووي " باب الإيمان " ج ١ ص ١٤٥

عند الإنسان) ومن هنا كانت أول كلمة من الوحي الإلهي على محمد ﷺ هي {اقرأ } تتجه إلى مخاطبة العقل " [1]

٣- **القلب السليم** : هذا القلب الذي جعله الله تعالى محلا لأمانة الدين ، وفطره الله تعالى على حبه والافتقار إليه والعز في الذل له والخشية منه والتوكل عليه ، هذا القلب الذي على أصل الفطرة " التقى النقي الذي لا إثم فيه ولا بغى ولا غل ولا حسد . "

٤- **الأنبياء والرسل** : ليحكموا بين الناس فيما اختلفوا فيه بما معهم من البينات ودين الحق ، وليبشروا المؤمنين بالجنة وينذروا الكافرين والعصاة بالنار .

{كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ } (البقرة : ٢١٣)

{ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ {٤٨} وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ }
(الأنعام : ٤٨ – ٤٩)

{رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا }(النساء : ١٦٥)

٥- **شريعة الله ومنهاجه** التي أنزلها على الرسل لتكون بمثابة الدستور الإلهي الذي يحتكمون إليه في الدنيا والذي يحاكموا بمقتضاه يوم القيامة .

{ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ } (المائدة : ٤٨)

{ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ } (الصف : ٩)

([1]) د. محمود حمدي زقزوق " هموم الأمة الإسلامية " ص ١٧ الهيئة المصرية العامة للكتاب .

وكما أن الله تعالى جعل للإنسان أعواناً على الإيمان والطاعة ابتلاه ببعض الفتن منها أربع جاءوا في قول الشاعر :

إني بليت بأربع ما سلطت * إلا لأجل شقاوتي و عنائي
إبليس والدنيا ونفسي و الهوى * كيف الخلاص وكلهم أعدائي
إبليس يسلك في طريق مهالكي * و النفس تأمرني بكل بلائي
وأرى الهوى تدعو إليه خواطري * في ظلمة الشبهات و الآراء
وزخارف الدنيا تقول أما ترى * حسنى وفخر ملابسي وبهائي

وكان بلاء الله تعالى لإنسان ؛ ليعلم الذين آمنوا .

{ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ } (آل عمران : ١٤٠)

وليعلم الله الصابرين المهتدين .

{ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ } (البقرة : ١٥٥–١٥٧)

وليعلم الله تعالى أي الناس أحسن عملاً .

{وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ في ستَّةِ أَيَّامٍ وكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاء لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَـذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ } (هود : ٧)

أما المؤمنون فيسارعون في الإيمان وعمل الخيرات مستجيبين لنداء الفطرة والعقل والرسل فتؤمن قلوبهم وتنفذ جوارحهم شرع الله .

{رَبَّنَا إِنَّنَآ سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ } (آل عمران : ١٩٣)

(إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِى إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا)
(الجن : ١– ٢)

واستجابوا لأوامر الله واحتكموا لشرعه .

{ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } (النور : ٥١)

ويزيدهم الله تعالى إيمانا وهدى .

{وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ } (محمد : ١٧)

{وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا } (مريم : ٧٦)

{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ } (يونس : ٩)

{نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى }
(الكهف : ١٣)

ويحبب إليهم الإيمان ويزينه في قلوبهم ويكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان.

{وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } (الحجرات : ٧- ٨)

أما أولئك الكافرون الذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة فإن الله تعالى لا يهديهم بل يطبع على قلوبهم فلا يخرج منها الكفر ولا يدخل فيها الإيمان .

{ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ لاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرونَ } (النحل : ١٠٧ – ١٠٩)

وكذلك من ظلم نفسه باتباع هواه وجحد هدى الله .

{قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ }
(القصص : ٤٩ – ٥١)

كذلك الذين مالوا عن الحق وحادوا عن الصراط المستقيم فإن الله تعالى أبعد الإيمان عن قلوبهم التي ملئت بكره أنبياء الله ورسله .

{ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فلما زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ } (الصف : ٥)

كذلك الذين يحلُّون ما حرم الله ويحرمون ما أحل الله تعالى بغير هدى من الله ولا كتاب منير .

{ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلِّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِؤُواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ اللّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ } (التوبة : ٣٧)

كذلك المنافقون الذين { إِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ {١٤} اللّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ {١٥} أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُواْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ } (البقرة : ١٤ : ١٦)

فالكفر نزع الإيمان من القلب وحشوه بالمعاصي والآثام فلا يعرف الإيمان طريقاً إلى قلب الكافر مهما رأى صاحبه من آيات الله ومعجزات رسله .

{ تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآئِهَا وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ من قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ } (الأعراف : ١١١)
{ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُبْطِلُونَ {٥٨} كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ }
(الروم : ٥٨ – ٥٩)

وعلاقة القلب بدين الله وشرعه يوضحها لنا رسولنا الكريم الذي أوتي جوامع الكلم في الحديث عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: حَدّثَنَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ حَدِيثَيْنِ قَدْ رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا، وَأَنَا أَنْتَظِرُ الآخَرَ. حَدّثَنَا "أَنّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرّجَالِ. ثُمّ نَزَلَ الْقُرْآنُ. فَعَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ وَعَلِمُوا مِنَ السّنّةِ". ثُمّ حَدّثَنَا عَنْ رَفْعِ الأَمَانَةِ قَالَ: "يَنَامُ الرّجُلُ النّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ. فَيَظَلّ أَثَرُهَا مِثْلَ الْوَكْتِ (الأثر اليسير) ، ثُمّ يَنَامُ النّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ. فَيَظَلّ أَثَرُهَا مِثْلَ الْمَجْلِ (المَجْلُ: أن يكونَ بين الجِلْدِ

واللحم ماءٌ) . كَجَمْرٍ دَحْرَجَتْهُ عَلَى رِجْلِكَ فَنَفِطَ (مثل المجل) فَتَرَاهُ مُنْتَبِرا وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ (ثُمّ أَخَذَ حَصىً فَدَحْرَجَهُ عَلَى رِجْلِهِ) فَيُصْبِحُ النّاسُ يَتَبَايَعُونَ. لاَ يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدّى الأَمَانَةَ حَتّى يُقَالَ: إِنّ فِي بَنِي فُلاَنٍ رَجُلاً أَمِينا. حَتّى يُقَالَ لِلرّجُلِ: مَا أَجْلَدَهُ مَا أَظْرَفَهُ مَا أَعْقَلَهُ وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ " (متفق عليه)

فالأمانة هي مناط التكليف ومحلها القلب ثم أنزل الله القرآن الكريم وجعل الإيمان بما فيه من عقائد محله القلب ، وعلمنا النبي أن رفع الأمانة يكون بفساد القلب و إشرابه للفتن فيرتكب المعاصي من كفر ونفاق وظلم .. ، أما من عمَّر قلبه بالإيمان فيظل قلبه سليماً لا تؤثر فيه الفتن ولهذا كان النبي ﷺ يقول: " يَا مُثَبِّتَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ).(حديث صحيح رواه ابن ماجه والحاكم وأحمد)

وعَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: كُنّا عِنْدَ عُمَرَ. فَقَالَ: أَيّكُمْ سَمِعَ رَسُولَ اللّهِ ﷺ يَذْكُرُ الْفِتَنَ؟ فَقَالَ قَوْمٌ: نَحْنُ سَمِعْنَاهُ. فَقَالَ: لَعَلّكُمْ تَعْنُونَ فِتْنَةَ الرّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَجَارِهِ؟ قَالُوا: أَجَلْ. قَالَ: تِلْكَ تُكَفّرُهَا الصّلاَةُ وَالصّيَامُ وَالصّدَقَةُ. وَلَكِنْ أَيّكُمْ سَمِعَ النبي ﷺ يَذْكُرُ الْفِتَنَ التي تَمُوجُ مَوْجَ الْبَحْرِ؟ قَالَ حُذَيْفَةُ: فَأَسْكَتَ الْقَوْمُ. فَقُلْتُ: أَنَا. قَالَ: أَنْتَ، لله أَبُوكَ!

قَالَ حُذَيْفَةُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ يَقُولُ : " تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودا عُودا. فَأَى قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ. وَأَى قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ. حَتّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصّفَا. فَلاَ تَضُرّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ. وَالاَخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادا – مائل للسواد – كَالْكُوزِ – إناء كالأبريق – مُجَخّيا – تجخّى الكوز انكبّ – لاَ يَعْرِفُ مَعْرُوفا وَلاَ يُنْكِرُ مُنْكَرا. إِلاّ مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ " (رواه مسلم)

ولقد جعل الله تعالى دخول الجنة قاصراً على صاحب القلب السليم من أمراض القلوب{ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ادْخُلُوهَا بِسَلاَمٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ }(ق : ٣١-٣٤)

{ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ وَاغْفِرْ لأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ وَلاَ تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ } (الشعراء:٨٥-٨٩)

" ولقد خص الله تعالى القلب بالذكر؛ لأنه الذي إذا سلم سلمت الجوارح، وإذا فسد فسدت سائر الجوارح والقلب السليم الصحيح هو قلب المؤمن؛ لأن قلب الكافر

والمنافق مريض؛ قال الله تعالى: { في قلوبهم مرض .. } ؛ ولأن جميع العبادات البدنية لا تصح إلا بتصحيح هذه المسألة في القلب، فافهم ذلك " [1]

القلب محل النية

والنية هي أساس كل الأعمال فشرط قبول العمل أن يكون لله خاصاً وأن يكون وفق ما شرع قال اللّه تعالى: {وَمَا أُمِروا إلاَّ ليعبُدوا اللّه مُخلِصينَ لَهُ الدّين حُنفاء} (البينة : ٥)

ويقول النبي ﷺ : " إن اللّه لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وابتغى به وجهه" (رواه أبو داود والنسائى)

فمن ابتغى غير وجه الله بعمله فلا أجر له ولا ثواب من الله وإن صام وصلى وتصدق وجاهد وهؤلاء أهل الرياء .

يقول رَسُولُ اللَّه ﷺ " أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَنْزِلُ إِلَى الْعِبَادِ لِيَقْضِىَ بَيْنَهُمْ وَكُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةٌ فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو بِهِ رَجُلٌ جَمَعَ الْقُرْآنَ وَرَجُلٌ قُتِلَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَرَجُلٌ كَثِيرُ الْمَالِ فَيَقُولُ اللَّهُ لِلْقَارِئِ أَلَمْ أُعَلِّمْكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِى قَالَ بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عُلِّمْتَ قَالَ كُنْتُ أَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ. فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ كَذَبْتَ وَتَقُولُ لَهُ الْمَلاَئِكَةُ كَذَبْتَ وَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ إِنَّ فُلاَنًا قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ. وَيُؤْتَى بِصَاحِبِ الْمَالِ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ أَلَمْ أُوَسِّعْ عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ أَدَعْكَ تَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ قَالَ بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ قَالَ كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ وَأَتَصَدَّقُ.

فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ كَذَبْتَ وَتَقُولُ لَهُ الْمَلاَئِكَةُ كَذَبْتَ وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ فُلاَنٌ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ.

وَيُؤْتَى بِالَّذِى قُتِلَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ فِى مَاذَا قُتِلْتَ فَيَقُولُ أُمِرْتُ بِالْجِهَادِ فِى سَبِيلِكَ فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ. فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ كَذَبْتَ وَتَقُولُ لَهُ الْمَلاَئِكَةُ كَذَبْتَ وَيَقُولُ اللَّهُ بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ فُلاَنٌ جَرِىءٌ فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ ». ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

---

(١) تفسير القرطبى ج ١٤ ص ٢٣ .

عَلَى رُكْبَتِى فَقَالَ : " يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أُولَئِكَ الثَّلاَثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللَّهِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " حديث صحيح (رواه الترمذي والحاكم)

كذلك من أشرك في العمل مع الله غيره من الناس فلا ثواب له وفي الحديث القدسي: "يقول الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل لي عملا أشرك فيه غيري فأنا منه بريء وهو للذي أشرك " حديث صحيح (رواه ابن ماجه والبيهقي)

إذن النية هي أساس قبول العمل وبقدر النية يؤجر صاحبها ، فالله تعالى لا ينظر إلى ظاهر العمل ولا إلى صورة صاحبة إنما ينظر إلى قصد صاحبه منه ، وما انعقدت نيته عليه .

" إِنَّ الله لا يَنْظُرُ إِلى أَجْسَامِكُمْ ، ولا إِلى صُوَرِكمْ ، ولَكن ينْظُرُ إِلى قُلُوبِكمْ وأعمالكم " (متفق عليه)

ألا ترى أن المنافقين يصلون ويصومون ويجاهدون ويؤدون عبادات الجوارح ولكن بسبب فساد قلوبهم فإن مصيرهم أسوأ مصير في الدرك الأسفل من النار { إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا } (النساء : ١٤٥)

واستحقوا هذا المصير ، رغم عبادتهم الظاهرية ، لأنهم أرادوا بأعمالهم وجه الناس لا وجه الله { إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلاً } (النساء : ١٤٢)

ونية المؤمن خير من عمله إن كان هناك مانع شرعي من أداء العمل ، وأداء العمل بغير نية لا ينفعه ، ويؤكد النبي ﷺ هذا المعنى بأمثلة كثير منها قوله ﷺ " مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ " (رواه مسلم)

وقوله ﷺ : " مَنْ طَلَبَ الشَّهَادَةَ صَادِقاً أُعْطِيَهَا ولو لَمْ تُصِبْهُ " (رواه مسلم)

وقوله ﷺ " مَثَلُ هَذِهِ الأُمَّةِ مَثَلُ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالا وَعِلْمًا فَهُوَ يَعْمَلُ بِهِ فِي مَالِهِ فَيُنْفِقُهُ فِي حَقِّهِ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يُؤْتِهِ مَالا فَهُوَ يَقُولُ لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ مَا لِهَذَا عَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ الَّذِي يَعْمَلُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَهُمَا فِي الأَجْرِ سَوَاءٌ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالا وَلَمْ يُؤْتِهِ عِلْمًا فَهُوَ يَخْبِطُ فِيهِ يُنْفِقُهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَرَجُلٌ لَمْ يُؤْتِهِ اللَّهُ مَالا وَلا عِلْمًا فَهُوَ يَقُولُ لَوْ كَانَ لِي مَالٌ مِثْلُ هَذَا عَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ الَّذِي يَعْمَلُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺفَهُمَا فِي الْوِزْرِ سَوَاءٌ " صحيح (رواه أحمد وابن ماجه والترمذى)

ومن كرم الله تعالى أن من نوى فعل حسنة ولم يفعلها– بسبب عذر شرعي – كتبها له حسنة ، فإن فعلها كتب الله له بها عشراً إلى سبعمائة والله يضاعف لمن يشاء بحسب نيته ، ومن نوى سيئة ولم يفعلها مخافة الله كتب الله له بتركها حسنة فإن فعلها كتب الله عليه سيئة واحدة فإن تاب عنها توبة نصوحاً أبدلها الله تعالى له حسنة .

قال رسول اللّه ﷺ " إن ربكم عزَّ وجلَّ رحيم ، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً " (رواه مسلم) .

الهمُّ العارض والهمُّ العازم

ويجب التفرقة بين الهمِّ العارض والهمِّ العازم . فالهمُّ العارض هو ما يخطر في النفس ولا يثبت في القلب ؛ وهو الذي رفع الله فيه المؤاخذة عن الخلق، إذ لا قدرة للمكلف على دفعه . فهو وسوسة شيطان أو هوى نفس لكنه لا ينعقد في القلب بل يستعيذ المؤمن منه بالله ، ويجاهد بتقوى الله هواه فيكافئه الله تعالى بفرحتين : فرحة عاجلة وهى حلاوة يجدها في قلبه [1]، وفرحة آجلة بحسنات يجدها في كتابه . وهذا النوع هو الذي قال فيه النبي ﷺ " من همَّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة .."

أما الهمُّ العازم فهو انعقاد النية والتماس كافة الأسباب الموطئة للفعل وهو نوعان : همٌّ عازم لفعل خير وهذا يثاب المرء عليه وإن لم يفعله – إن كان هناك مانع شرعي – والأخر هو الهمُّ العازم لفعل شر وهذا يُحاسب الإنسان عليه وإن لم يفعله بسبب مانع قهري خارج عن إرادته .

فمن دبر مالاً ليشترى به زجاجة خمر مثلاً ، ثم ذهب إلى أحد المحال التي تبيعها واشترى إحداها ، وأعد العدة ليتجرع كئوسها وعندما همَّ أن يمسك الزجاجة إذا بها تسقط من يده فتنكسر ويقف أمامها يتحسر على ما فيها من خمر مراق إن هذا الرجل ليعد شارباً للخمر وإن لم يتجرع منها قطرة واحدة لأنه كان عازماً على شربها والذي منعه من شربها ليس خوفه من الله تعالى إنما انكسار الزجاجة ، هذا

---

(١) أخرج الحاكم وصححه عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ "النظرة سهم من سهام إبليس مسمومة، فمن تركها من خوف الله أثابه إيماناً يجد حلاوته في قلبه " .

بخلاف من همّ أن يشرب الخمر فتذكر الله تعالى وتذكر عذابه فكسر الزجاجة مخافة الله تعالى فهو مأجور إن شاء الله وسيكتب له حسنة .

كذلك من همَّ بقتل رجل فرصد حركاته واشترى بندقية واختبأ له منتظراً مروره وعندما رآه صوب البندقية ناحيته وأطلق عليه الرصاص لكن الرصاص أخطأه وتجمع الناس ففر هارباً قبل أن يمسكوا به فإن هذا الرجل قاتل وإن لم يرق قطرة دم لأنه كان عازماً ومصراً ومترصداً واتخذ كل التدابير للقتل لكن لسبب خارج عن إرادته لم يفلح في القتل ، بخلاف من همَّ بقتل إنسان لكنه تذكر الله تعالى فندم على الهمَّ وعدل عن الفعل فهو مثاب لتركه الحرام مخافة الله .

وكذلك امرأة العزيز عزمت على ارتكاب الفاحشة مع سيدنا يوسف ورتبت الأمر وخططت له فغلقت الأبواب وتزينت و.. لكن رفْض يوسف لإغوائها ودخول العزيز عليهما حالا دون ارتكابها الفاحشة فبعزمها هذا آثمة ، أما يوسف فكان همه همّاً عارضاً ولم يكن عازماً لذا قال لها يوسف { اسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ } .

وتعترف امرأة العزيز بأنها كانت عازمة على ارتكاب الفاحشة ومازالت على عزمها هذا بعكس يوسف الذي كان معتصما بالله { وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ } .

فلا عجب إذن أن نجد أهل الحديث كالبخاري ومسلم وغيرهما يستهلون مصنفاتهم بحديث " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى.. "

قال الإمام أبو سليمان الخَطَّابى رحمه اللّه: كان المتقدمون من شيوخنا يستحبُّون تقديم حديث الأعمال بالنيّة أمامَ كل شيء ينشأ ويبتدأ من أمور الدين لعموم الحاجة إليه في جميع أنواعها. وبلغنا عن ابن عباس رضى اللّه عنهما أنه قال: إنما يُحْفَظُكُ الرجلُ على قدر نيّته. وقال غيرُه: إنما يُعطى الناسُ على قدر نيّاتهم." (١)

العادات والعبادات

وكما أن العبادات لا تقبل بغير نية خاصة لله فإن العادات المباحة تتحول لعبادات بالنية الصالحة ! فمن نوى بكسبه وعمله الدنيوي الاستعانة بذلك على القيام بحق الله

(١) الإمام النووي في مقدمة كتاب " الأذكار " .

وحقوق الخلق واستصحب هذه النية الصالحة في أكله وشربه ونومه وجماعه انقلبت العادات في حقه إلى عبادات وبارك الله في عمله وفتح له من أبواب الخير والرزق أموراً لا يحتسبها ولا تخطر له على بال ،ومن فاتته هذه النية لجهله أو تهاونه فقد حرم خيراً عظيماً .

فكل عادة إذا أردت بها طاعة الله وامتثالاً لشرعه من المباحات التي أباحها الله تعالى فهي عبادة يؤجر صاحبها عليها حتى اللقمة التي يضعها الرجل في فم زوجته لقوله ﷺ : " وَلَسْتَ تُنْفِقُ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلاَّ أُجِرْتَ بِهَا حَتَّى اللُّقْمَةَ تَجْعَلُهَا في فيِ(فم) امْرَأَتِكَ " (متفق عليه)

ففي الحديث استحباب الإنفاق في وجوه الخير، وفيه أن الأعمال بالنيات، وأنه إنما يثاب على عمله بنيته، وفيه أن الإنفاق على العيال يثاب عليه إذا قصد به وجه الله تعالى، وفيه أن المباح إذا قصد به وجه الله تعالى صار طاعة ويثاب عليه وقد نبه ﷺ على هذا بقوله ﷺ : حتى اللقمة تجعلها في في امرأتك لأن زوجة الإنسان هي من أخص حظوظه الدنيوية وشهواته وملاذه المباحة، وإذا وضع اللقمة في فيها فإنما يكون ذلك في العادة عند الملاعبة والملاطفة والتلذذ بالمباح، فهذه الحالة أبعد الأشياء عن الطاعة وأمور الآخرة، ومع هذا فأخبر ﷺ أنه إذا قصد بهذه اللقمة وجه الله تعالى حصل له الأجر بذلك . (١)

ويؤكد الأمام النووي هذه القاعدة فيقول " إن الإنسان إذا فعل شيئاً أصله على الإباحة وقصد به وجه الله تعالى يثاب عليه وذلك كالأكل بنية التقوى على طاعة الله تعالى والنوم للاستراحة ليقوم إلى العبادة نشيطاً والاستمتاع بزوجته ليكف نفسه وبصره ونحوهما عن الحرام وليقضى حقها وليحصل ولداً صالحاً، وهذا معنى قوله ﷺ : (وفي بضع أحدكم صدقة) " (٢)

فهل مسلمو اليوم قد عقدوا نياتهم على طاعة الله ؟ هل راقبوا الله في أعمالهم وأقوالهم ؟ هل أتقنوا أعمالهم مخافة الله وابتغاء رضاه ؟

اللهم لا .. إلا من رحم ربي .

---

(١) الإمام النووي " صحيح مسلم بشرح النووي " ج١١ ص ٧٨ .
(٢) نفسه ج١١ ص ٧٨ .

إتقان العمل والمقابل المادي

إن كثيراً من المسلمين ، لا سيما موظفي الحكومة ، مع الأسف نياتهم سوء وزممهم خربة وأعمالهم يشوبها الرياء والنفاق والسمعة ، فهم لا يكادون يتقنون عملاً ، ومع ذلك لا يكفون عن المطالبة بزيادة رواتبهم !! [1]

جرى حوار مع بعض هؤلاء حول العمل الحكومي وأجمع المتحاورون على أن الدولة مادامت لا تعطينا الأجر الذي نستحقه فليس لها علينا حق تمام العمل ! وعبثاً حاولت إفهامهم أننا ما دمنا قدر ارتضينا العمل فيجب علينا إتقانه لله ، وأن الدولة إن لم يكن في إمكانها زيادة الأجور فهل هذا دافع للتكاسل أم باعث على العمل الجاد حتى ننهض ببلدنا ؟ وكأني أنعق في فلاة ولا من مجيب ، واتهمني البعض أنى منتمٍ للنظام الحاكم لذا فانا أدافع عنه ، واتهمني آخرون بالغباء والتغفيل !! وتذكرت حواراً دار بين وبين شاب ياباني جاء مصر ليدرس اللغة العربية فقلت له في أثناء الحديث أنتم ، شباب اليابان ، تستحقون التقدير والاحترام ؛ لأنكم صنعتم حضارة عظيمة فقال : ليس لنا – نحن الشباب – الفضل في نهضة اليابان بل الفضل كل الفضل للآباء والأجداد الذين بذلوا حياتهم دون مقابل من أجل أن نتقدم نحن ، وعندما تذكرت هذا الحوار الذي مر عليه بضعة عشر عاماً أدركت لما تقدم غيرنا وتخلفنا ، أننا صرنا كعبيد السوء لا نعمل إلا بأجر ولا نخلص إلا بثمن. وتذكرت النبي ﷺ وصحابته الكرام وتابعيهم بإحسان تذكرت كم ضحوا وكم بذلوا في سبيل نشر الدين وتحرير العباد من الطغاة وكم عمروا وأصلحوا دون انتظار أجر إلا من رب العالمين وماتوا ، على الجملة ، فقراء مساكين وأدركت لماذا تقدموا وتخلفنا ؟ وأدركت لماذا استحقوا جنة الله ويخشى علينا عذابه .

لقد قال كل نبي لقومه : { وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ } أفلا نقتدي بخير خلق الله ؟ أم أن الأحوال تبدلت ولم تعد هذه المقولات

---

(١) وبعد ثورة الخامس والعشرين من يناير لم يكتفوا برفع شكواهم إلى المسئولين إنما بدءوا يضربون عن العمل ويقطعون الطرق ويخربون المنشآت في الوقت الذي تحتاج فيه البلاد لجهد كل المواطنين لرفعة الوطن بعد الخراب على حل به لعقود طويلة ، ومن له طلب أو عنده مظلمة يرفعها بالطرق المشروعة ، وعلى المسئولين أن يجيبوا الطلبات المشروعة ، ويرفعوا الظلم عن المظلومين ، ويقضوا حاجات المعوزين .

صالحة لزماننا كما يقول البعض – غفر الله لنا ولهم – فليقلدوا اليابانيين إذن الـذين يقومون بمظاهرات سلمية من أجل زيادة ساعات العمل دون زيادة الأجر !

إن الطمع والجشع وعدم الرضا أصاب قلوب كثير من المسلمين فجعل الله الفقـر بين عينيهم فلا يغتنوا أبداً ، وإذا قارن أفقر المسلمين اليوم بين ما أنعم الله عليه من رزق وبين ما كان عليه أفضل الخلق أجمعين لما شكا الفقر أبداً .

ذكر عمر بن الخطاب رَضِى اللَّهُ عَنهُ ما أصاب الناس من الدنيا قال: " لَقَدْ رَأَيْتُ رسول الله ﷺ يَظَلُّ الْيَوْمَ يَلْتَوِي مَا يَجِدُ مِنَ الدَّقَلِ مَا يَمْلأُ بِهِ بَطْنَهُ " (رَوَاهُ مُسلِمٌ) الدقل : أردأ التمر .

وعن أبى طلحة: شكونا إلى رسول الله ﷺ الجوع ورفعنا عن بطوننا عـن حجـر فرفع رسول الله ﷺ عن حجرين " (رواه الترمذى)

أُنَاس مِنْ الأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّه ﷺ فلم يَسْأَلْهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلاَّ أَعْطَاهُ حَتَّى نَفِدَ مَـا عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُمْ حِينَ نَفِدَ كُلُّ شَيْءٍ أَنْفَقَ بِيَدَيْهِ مَا يَكُنْ عِنْدِى مِنْ خَيْرٍ لاَ أَدَّخِرْهُ عَـنْكُمْ وَإِنَّهُ مَنْ يَسْتَعِفَّ يُعِفَّهُ اللَّهُ وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ وَلَنْ تُعْطَوْا عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنْ الصَّبْرِ " (متفق عليه)

ولو قارن هذا الذي يشكو الفقر دائماً ويترحم على أيام زمان لو قارن بين حياته، التي يشكو منها مر الشكوى ، وبين حياة أبيه وجده لقبّل يديه ظهرا لـبطن شـكرا على نعم الله وآلائه ! فهل أدى هؤلاء الناس شكر النعمة وأخلصوا عملهم لله تعـالى وابتغاء وجهه .

إن تقوى الله مفتاح خزائن الله تعالى { وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُـواْ وَاتَّقَـواْ لَفَتَحْنَـا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّـمَاء وَالأَرْضِ وَلَكِن كَـذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِـبُونَ } (الأعراف : ٩٦)

فجعل تعالى التقوى من أسباب الرزق كما في هذه الآيات، ووعد بالمزيـد لمـن شكر فقال : { وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَـذَابِى لَـشَدِيدٌ } (إبراهيم: ٧) .

العرب بين الإنتاج والاستهلاك

لقد تحول العرب إلى مستهلكين سلبيين لما ينتجه له الغرب وليتهم يستهلكون مـا ينتجون لهان الأمر . لقد كان طموح العربي المسلم قديماً طموحا دينياً أخرويّاً ، ثـم

صار علمياً أو أدبياً ، واليوم أصبح طموحاً مادياً دنيوياً . فإذا حصل الإنسان على شيء جديد لم يقنع به بل يطمح إلى غيره .

عندما كنت أذهب إلى قريتي صغيراً كنت أشاهد الناس تتجمع من كل حدب وصوب حول مذياع جدي الذي كان المذياع الوحيد في القرية ، وكان الناس يفترشون تراب الأرض ويستمعون إلى الشيخ عبد الباسط وهم في قمة السعادة ، ومرت سنوات وأحضر صاحب مقهى في قرية تبعد عن قريتنا ما يقرب من عشر كيلو متر تليفزيون ١٤ بوصة أبيض وأسود فلم تكن الألوان قد ظهرت بعد فكان الشباب يقطع هذه المسافة الكبيرة في الظلام وعبر الحقول والمزارع وقد استحالت أشجارها أشباحاً مخيفة يصاحبهم نباح الكلاب الذي لا يتوقف ولا نقيق الضفادع الذي لا يكف ، و كان الظلام دامساً والأرض وعرة ، وجحور العقارب والثعابين والفئران منتشرة في كل مكان فكان سيرهم كمن يسير في حقل ألغام تبدأ الرحلة بعد المغرب وتنتهي في منتصف الليل كل هذا ليشاهدوا التلفزيون لمدة ساعتين أو ثلاثة على الأكثر ولم تكد تمر سنوات قليلة دخلت الكهرباء القرية وامتلك كل من في قريتي جهاز تليفزيون أبيض وأسود وبعد عدة سنوات أخرى تحوّل إلى ملون .

أما سكان العاصمة من أهل قريتنا فقد تمكنوا من امتلاك " الفيديو والدش " واشترى بعضهم الكمبيوتر ليلعب عليه أولاده الألعاب ويشاهدوا الأفلام والمسرحيات ، والكمبيوتر أجيال من ملك جيلاً تطلع إلى الجيل الذي بعده ، وماذا استفاد أهل قريتي من هذا كله غير ضياع الوقت والمال وفساد الأخلاق وإهمال العمل فبعد أن كان الفجر هو ميعاد استيقاظهم أصبح الفجر ميعاد نومهم ! وأنا لا أعترض على اقتناء الأجهزة الحديثة بل على العكس أنا أطالب بتعلم وإتقان كل ما هو جديد إنما أعترض على إساءة استخدامها فنحن بدلاً من أن نستعبد هذه الأجهزة لتتقدم حياتنا استعبدتنا الأجهزة وتأخرت حياتنا فكثير من الناس لا يشاهدون في التليفزيون إلا الأغاني الراقصة والأفلام الهابطة ، وكثير ممن يملكون كمبيوتر لا يعلمون عنه إلا إنه جهاز لمشاهدة الأفلام والأغاني والألعاب المسلية والماهر فيه يضيف إلى هذه الاستخدامات مشاهدة المواقع الإباحية على الإنترنت وعمل دردشة مع الفتيات! فلم تزد الأجهزة الحديثة المتخلف إلا تخلفاً ، والأجهزة المنزلية الحديثة وفرت للمرأة وقتاً وجهداً لا لتهتم بتربية أولادها والاعتناء بهم لكن لتمضى وقتها في مشاهدة التليفزيون ذي العشر قنوات أو الدش ذي الألف قناة أو لتمضية في

الدردشة مع صديقاتها وأقاربها في التليفون !! إن هذه الأجهزة باهظة الثمن أفسدت المجتمع بدلاً من تطويره وأضاعت الوقت بدلاً من توفيره وأصابت الناس بحمى اقتناء الجديد لأنه جديد لا لأن الناس يحتاجونه وويل لمن قصرت يمينه عن شراء شيئا من متاع الحياة الدنيا فقد حكم على أسرته بالشقاء وأصبح معيرة بين الناس إذن فليبذل قصارى جهده في امتلاك الجديد مهما تكلف من جهد أو من تنازل أخلاقي وقيمي !!

هذه هي صورة مجتمعنا يملك أحدث الأجهزة التي صنعها له غيره ويعجز عن زراعة ما يأكل أو نسج ما يلبس أو صناعة ما يركب !! ولا تسمع منه إلا شكوى الزمان وغلاء الأسعار .

إن تعريف الفقير قد تغير في زماننا فقد كان الفقير قديماً هو من لا يجد قوت يومه فأصبح الفقير عندنا من ليس عنده سيارة أو تكييف أو رصيد كبير في البنك !

القلب مجمع الوجدان

والقلب هو أيضاً مجمع الوجدان ، فإن آمن القلب واهتدى حبب الله إليه الإيمان وكره إليه الكفر والفسوق العصيان ،

{ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ } (الحجرات : ٧)

وإن ضل القلب طريق الله سكن فيه الشيطان وحبب إليه الكفر والمعاصي والآثام و كره إليه الإيمان والهدى .

{ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ } (البقرة : ١٦٥)

ومن صفات هؤلاء الكفرة الفجرة حب الدنيا وكراهية الآخرة ، ليس ذلك فحسب بل ويصدون الناس عن سبيل الله .

{ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُوْلَـئِكَ فِي ضَلاَلٍ بَعِيدٍ } (إبراهيم : ٣)

{ إِنَّ هَؤُلاء يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءهُمْ يَوْمًا ثَقِيلا} (الإنسان : ٢٧)

{ كَلا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ } (القيامة : ٢٠ – ٢١)

سمات من يحبون الله ورسوله

ومن أحب الله أحب أوامره وأحب كل من يحبه الله تعالى ، وأبغض نواهيه تعالى وأبغض كل من يبغضه الله تعالى .

{قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} (آل عمران : ٣١)

عَنْ ابْنِ عَبّاس قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّه ﷺ : "أَحِبّوا اللّهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ مِنْ نِعَمِهِ، وَأَحِبّونِى بِحُبّ اللّهِ، وَأَحِبّوا أَهْلَ بَيْتِى لِحُبّى " (رواه الترمذى والحاكم)

وعن أنس رَضِى اللَّهُ عَنْهُ أن أعرابياً قال لرَسُول اللَّه ﷺ : متى الساعة ؟ قال لـه رَسُول اللَّه ﷺ : " ما أعددت لها ؟ " قال : حب اللَّه ورسوله. قال : " أنت مع من أحببت " (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ) .

فمن ادعى حب الله ولم يلتزم شرعه فهو دَعِيٌّ كاذب ، وصدق الشافعي حين قال:

تعصى الإله وأنت تظهر حبه * هذا لعمري في القياس بديع

لو كان حبك صادقاً لأطعته * إن المحب لمن يحب مطيع

ولقد ادعى أقوام حب الله ولم يؤمنوا بدينه الذي ارتضى لهم ، بل غلوا في دينهم وزعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه فنعى الله تعالى عليهم هذه الدعاوى الباطلة .

{ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللّه وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فلم يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ } (المائدة : ١٨)

وكذلك فعل غلاة الصوفية والشيعة ادعوا حب الله ورسوله وآل بيته ولم يلتزموا شرع الله وسنة نبيه وهما دليلا حب الله ورسوله .

فطريق محبة الله تعالى حب رسوله ﷺ وعلامة حبه ﷺ اتباع شريعة الله التي جاء بها . روى أبو الدرداء عن رسول الله ﷺ في قوله تعالى: { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ } (آل عمران : ٣١) قال: "على البر والتقوى والتواضع وذلة النفس " (رواه الترمذي)

وفسر العلماء محبة الله لعبده بأنها إرادته الخير له وهدايته ورحمته ، ونقيض ذلك بغض الله له .

{ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ } (التوبة : ٢٤)

ويقول الحبيب المصطفي ﷺ : " لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُوْنَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِيْنَ " (متفق عليه)

وإن للإيمان لحلاوة لا يذوقها إلا من رضى بالله ربا وإلها وبمحمد نبيا ورسولا وبالإسلام ديناً خاتماً .

" ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا " (رواه مسلم)

فإن كان الله ورسوله أحب للعبد مما سواهما ، وكان الكفر بهما أبغض إليه من إلقائه في النار ، وإن كان يحب لله ويبغض لله . إن اجتمعت هذه الثلاث في عبد وجد حلاوة الإيمان .

" ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وَجَدَ حَلاوَةَ الإيمانِ، أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْه ممّا سواهُما، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلاّ لله، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ في الْكُفْرِ كَما يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ في النَّارِ " (متفق عليه)

ووجبت محبة الله تعالى لمن أحبه وأطاع نبيه ، ويظله بظله يوم لا ظل إلا ظله . قال رَسُولَ اللَّه ﷺ يَحْكِي عَنْ رَبِّه عَزَّ وَجَلَّ ، يَقُولُ : " حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ ، وَالْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ "

(رواه أحمد والطبراني وغيرهما)

وينعم الله على من أحبه بحب أهل السماء والأرض .

عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : " إن الله إذا أَحَبَّ عبداً دعا جبريل فقال إني أُحبُّ فلانا فَأَحِبَّهُ فَيُحِبُّهُ جبريل ثم ينادى في السماء إن الله يحب فلاناً فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهل السماء ثم يُوضَعُ له القبول في الأرض وإذا أَبْغَضَ عبداً دعا جبريل

فيقول إني أُبْغضُ فلانا فَأَبْغضْهُ فَيُبْغضُهُ جبريل ثم ينادى في أهل السماء إن الله يبغض فلانا فَأَبْغضُوهُ فَيُبْغِضُونَهُ ثم تُوضع له البغضاء في الأرض . (رواه مسلم)

حب الشهوات

ومن الابتلاءات التي ابتلى الله بها الناس حب الشهوات : من نساء ، وأولاد ، ومال ،.. وسائر متاع الدنيا .

{ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ } (آل عمران : ١١٤)

لكن الله بين أن الإيمان والعمل الصالح خير ثواباً عند الله فهو الذي يبقى وتفنى الدنيا وما فيها .

{ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلا } (الكهف : ٤٦)

أما من أحب متاع الدنيا وكفر بالمنعم سبحانه فأولئك هم الكافرون .

{ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} (النحل : ١٠٧)

ومن صفات هؤلاء الكافرين والعصاة أيضاً الحب الشديد للمال .

{ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا } (الفجر : ٢٠)

وحب الكفر وكره الإيمان .

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ آبَاءكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاء إِنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ } (التوبة : ٢٣)

{ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } (فصلت : ١٧)

القلب محل التقوى

التقوى من أعمال القلوب وفي ذلك يقول تعالى :

{ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ } (الحجرات : ٣)

ولقد حدد النبي ﷺ مكان التقوى وهو القلب فقال ﷺ :
" التَّقْوَى هَاهُنَا وَيُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ " (رواه مسلم)
ولقد جعل الله تعالى تعظيم شعائر الله من تقوى القلوب .
{ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ } (الحج : ٣٢)
يقول القرطبي : " قال عطاء بن أبى رباح : شعائر الله جميع ما أمر الله به ونهى عنه. وقال الحسن: دين الله قلت: وهذا القول هو الراجح الذي يقدم على غيره لعمومه ." (١)

لكن ما هي تقوى الله ؟

التقوى هي العمل بطاعة الله على وفق منهجه ورجاء رحمته ، وترك معصية الله على وفق منهجه وخوفاً من عقابه .

وأهل تقوى الله إذا استزلهم الشيطان تذكروا عظمة الله وعقابه، فكفتهم رهبته عن معاصيه وردتهم إلى التوبة والإنابة إلى الله مما كان منهم من زلة .

لذا لا عجب أن يخبر الرسول ﷺ أن أكثر ما يُدخل الجنة تقوى الله وحسن الخلق.

{ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ } (الزمر:٧٣) .

ولما كان طريق الحق طويل وشاق ويحتاج إلى زاد كثير فإن الله أمرنا أن نتزود بتقوى الله فإنها خير زاد على طاعة الله .

{ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ } (البقرة : ١٩٧)

القلب والجمال

لقد جَبَلَ الله تعالى القلوب على حب الجمال بشتى صوره ، والنظام، والتناسق ؛ فتجد القلب يسعد لرؤية الحدائق والبساتين وكل منظر بديع ، ويستلذ لصوت البلابل والعنادل وخرير الماء وحفيف الأشجار وكل صوت جميل ، وتنعشه رائحة الطيب ، ونسمة الهواء العليل .

---

(١) تفسير القرطبى ج٦ ص ٣٧

لقد فطر الله القلب على عشق النظام وبغض الفوضى والإهمال ألا ترى القلب ينشرح برؤية الشمس عند الغروب ، والأزهار البديعة في الربيع ، ومنظر القمر عند التمام ، والوجه الحسن في الأنام ، وينطلق لسان المؤمن عند رؤية شيء من بديع خلق الله ويقول " الله .. الله " كما ينقبض القلب ويضيق بالقبيح من المناظر والأصوات والروائح ، فينقبض برؤية الجيف والقمامة ، ويضيق بسماع الضوضاء والأصوات المنكرة ، ويكاد ينفطر بشم الروائح الخبيثة .

ومن كثرة القبح والفوضى والتلوث بشتى صوره وأنواعه اعتاد الناس على القبيح ولم يعد يزعجهم الضجيج ، وتصالحوا مع الفوضى ونسوا الجمال والهدوء والنظام ولم يعودوا بحاجة إلى شيء منها ! فإذا سرت في طريق غشيت بصرك صور القمامة والفوضى والإهمال في كل مكان واخترقت أذنك أصوات أفراح ومآتم وسيارات ومشاجرات ، وزكمت أنفك روائح قمامة وعرق ودخان وتراب..

والمدهش إننا بعد كل هذا نتساءل لماذا كثرت أمراض السكر وضغط الدم والفشل الكلوي وقرحة المعدة فضلاً عن الأمراض النفسية والعصبية والعقلية ؟!

وكأن هذه الأمراض قد صدَّرها لنا أعداؤنا فقد اعتدنا أن ننسب كل فساد للأمريكان وكل فشل لليهود وكل مصيبة لشياطين الإنس والجن من الغرب الرجيم! مع أن هذا الغرب يتسم بالنظام والنظافة والجمال ليتنا نكف عن هذه النغمة فقد مللنا سماع نغمة الضحية والجزار ونفكر كيف نصلح أنفسنا ونرقى بمجتمعاتنا ونسير للإمام ؟

والمحزن حقاً أن كثيراً من المصريين استغلوا ثورة الخامس والعشرين من يناير وما صحبها من انفلات أمني ، وانكسار هيبة الدولة في ارتكاب مزيد من المخالفات ؛ فكثرت القمامة ، وزادت الضوضاء ، اضطرب النظام .

وكنا نأمل أن تكون هناك ثورة على القبح والفوضى والإهمال كما كانت على هناك ثورة على المستبدين الفاسدين .

فتنة النساء

ومما حبب الله للقلوب عشق النساء والميل إليهن ولولا تلك الفطرة ما تزوج الرجال النساء ولا عُمِّر الكون فميل كل نوع من كل جنس لنوعه الآخر تدبير من

الله لتعمير الكون ، فالأليف يحن إلى أليفه لذا يتناكح الإنس ، وتتزاوج الحيوانات والطيور ، وتتلاقح النباتات .

ولقد صرح النبي ﷺ بأن الله حبب إليه من الدنيا النساء والرائحة الزكية .

" حُبِّب إليَّ النساءُ ، والطِّيبُ ، وجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيني في الصلاة "

(رواه النسائى وأحمد)

وجعل النبي ﷺ المرأة الصالحة خير متاع الدنيا .

" الدُّنْيَا مَتَاعٌ ، وَخَيرُ مَتَاعِهَا المَرْأَةُ الصَّالِحَةُ " (رواه مسلم)

والحب قدر وابتلاء لا خيار للإنسان فيه لذا يقول النبي ﷺ معتذراً إلى الله عن ميله لبعض زوجاته أكثر من غيرهن دون الإخلال بالعدل بينهن جميعاً .

عن عائشة " أن النبي ﷺ كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول: اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك " قال الترمذي يعنى به الحب والمودة، كذلك فسره أهل العلم " [1]

ولقد طلب سيدنا يوسف من الله تعالى أن يصرف عنه كيد النساء حتى لا يصبو إليهن .

{ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَى مِمَّا يَدْعُونَنِى إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ } (يوسف : ٣٣)

لذا جعل الله تعالى فتنة النساء في صدر الفتن التي يبتلى الله بها الإنسان فقال تعالى : { زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ } (آل عمران : ١٤)

وجعل النبي فتنة النساء هي أعظم الفتن للرجال .

عن النبي ﷺ قَالَ: "مَا تَرَكْتُ بَعْدِى فِي النّاسِ فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرّجَالِ مِنَ النّسَاءِ "

(متفق عليه)

لأن الطباع كثيراً ما تميل إلي النساء وتقع في الحرام لأجلهن وتسعى للقتال والعداوة بسببهن .

---

(١) ابن حجر العسقلاني " فتح الباري بشرح صحيح البخاري " ج ٩ ص ٣١٣

ولقد جاءت شريعة الإسلام بالمنهج الأمثل ، والشرع الأحكم الذي يعالج العلاقة بين الرجال والنساء فحرم الرهبانية التي جاءت بها المسيحية لأنها كبت لفطرة الله تعالى التي فطر الناس عليها وهى ميل الذكر للأنثى والعكس { وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ } (الحديد : ٢٧) لقد ابتدع المسيحيون هذه الرهبانية – الزُّهْدُ في الدُّنْيا والانْقِطاعُ عَنْ مَلَذَّاتِها وَعَنِ الزَّواجِ – ولم يكتب الله تعالى عليهم هذا بل شرع الله لهم التمتع بالطيبات من الرزق من غير إسراف ، كما شرع لهم الزواج بالمحصنات وحرم عليهم اتخاذ الأخدان . وسوف نستوف هذا الموضوع عند حديثنا عن الغريزة الجنسية .

وكما حرَّم الله تعالى الرهبانية والانقطاع عن الزواج حرَّم كذلك الإباحية والزنا والفجور وكل سبيل يؤدي إلى إثارة الغرائز { وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً } (الإسراء : ٣٢)

أي : ابتعدوا عن مقدمات الزنا فضلاً عن الوقوع فيه ذاته .

أنواع الحب

والحب أنواع كثيرة منها : حب الله ورسوله ، والحب في الله ، وحب الوطن ، وحب الأهل والأقارب ، وحب النساء . وحب النساء أنواع ودرجات .

المتحابون في الله

إن المتحابين في الله من غير قرابة ولا نسب، ومن غير مصلحة ولا غرض، ولا شبهة رياء أو هوى في أسمى الدراجات عند الله تعالى وفي ذلك يقول الرسول ﷺ:

" إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لأُنَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلاَ شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ الأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَكَانِهِمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى " .

قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ تُخْبِرُنَا مَنْ هُمْ. قَالَ : " هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ وَلاَ أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا فَوَاللَّهِ إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ وَإِنَّهُمْ عَلَى نُورٍ لاَ يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ وَلاَ يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ ". وَقَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ { أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ }.(رواه النسائي وابن حبان وأحمد)

وعن عبادة بن الصامت قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: قال الله حقت محبتي للمتحابين فيَّ وحقت محبتي للمتواصلين فيَّ وحقت محبتيَّ للمتناصحين

فيَّ وحقت محبتي للمتزاورين فبَّ وحقت محبتب للمتباذلين ، المتحابون فـيَّ علـى منابر من نور يغبطهم بمكانهم النبيون والصديقون والشهداء " (رواه أحمد وغيره)

والحب في الله ثاني ثلاثة من فعلها وجد حلاوة الإيمان .

" ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وَجَدَ حَلاوَةَ الإِيمانِ، أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَـبَّ إِلَيْـه ممّـا سواهُما، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلاّ للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ في الْكُفْرِ كَما يَكْـرَهُ أَنْ يُقْذَفَ في النَّارِ " (متفق عليه)

والحب في الله فضيلة عزت في زماننا هـذا الذي طغت فيه المصالح على كـل شيء ولا يُظْهر لك الشخص المحبة إلا وكان له مأرب من ورائهـا ، ومـن ودك فاعلم أنها لمصلحة فإن قلاك فاعلم أنها انقضت إلا من رحم ربى .

فإذا كان الإنسان مسئولاً أو ذا مال أو جاه أو سلطان كثر أحباؤه فإن فقد مالـه أو سلطانه لم يعد يعرفه أحد إلا المتحابون في الله فاستحقوا محبة الله والدرجة الرفيعة التي أعدها لهم .

واستحقوا أن يكونوا من السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله .
" سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ في ظِلِّه يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّه الإِمَامُ الْعَدْلُ وَرَجُلٌ نَشَأَ بِعِبَادَة اللَّـه وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ في الْمَسَاجِد وَرَجُلاَن تَحَابَّا في اللَّه اجْتَمَعَا عَلَيْـه وَتَفَرَّقَـا عَلَيْـه وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِب وَجَمَال فَقَالَ إِنِّى أَخَافُ اللَّهَ وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِـصَدَقَة فَأَخْفَاهَا لاَ تَعْلَمُ يَمِينُهُ مَا يُنْفِقُ بِشِمَالِه وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ "
(متفق عليه)

وجعل النبي الحب في الله أوثق عرى الإسلام .
قال رسول الله ﷺ " إِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الإِيمَانِ الْحُبُّ فِي الله وَالْبُغْضُ فِي الله "
(رواه أحمد وابن أبى شيبة والبيهقى)
بل أكثر من هذا لقد جعل النبي أن الحب في الله أفضل الأعمال .
قال الرسول اللّه ﷺ : "أفضل الأعمال الحبُّ في اللّه والبغض في اللّه".
(رواه أحمد وأبو داود)

" قيل كيف يكون الحب في اللّه والبغض فيه أفضل من نحـو الـصلاة والـصوم والجهاد ؟ قلنا من أحب في اللّه يحب أنبياءه وأولياءه ومن شرط محبتـه إيـاهم أن

يقفوا أثرهم ويطيع أمرهم، وكذا من أبغض في اللّه أبغض أعداءه، وبذل جهده في مجاهدتهم بالبنان واللسان . " [1] .

ووعد النبي المتحابون في الله بالجنة .

قال رسول اللّه ﷺ : "مَنْ عادَ مَرِيضاً، أوْ زَارَ أخاً لَهُ في اللَّه تَعالى، نادَاهُ مُنادٍ بأنْ طِبْتَ وَطابَ مَمْشاكَ، وتَبَوَّأتَ مِنَ الجَنَّةِ مَنزِلاً" (رواه ابن ماجه والترمذى وحسنه وصححه ابن حبان)

وعن أنس بن مالك: أَنَّ رَجُلا مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى السَّاعَةُ قَائِمَةٌ قَالَ وَيْلَكَ وَمَا أَعْدَدْتَ لَهَا قَالَ مَا أَعْدَدْتُ لَهَا إِلا أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ قَالَ إِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ فَقُلْنَا وَنَحْنُ كَذَلِكَ قَالَ نَعَمْ فَفَرِحْنَا يَوْمَئِذٍ فَرَحًا شَدِيدًا"

(متفق عليه)

إن المتحابين في الله وعدهم النبي بأسمى من الجنة لقد وعدهم بحب الله لهم .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِي ﷺ "أَنّ رَجُلاً زَارَ أَخاً لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى. فَأَرْصَدَ اللّهُ لَهُ، عَلَى مَدْرَجَتِه، مَلَكاً. فلما أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخاً لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ. قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبّهَا؟ قَالَ: لاَ. غَيْرَ أَنّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللّهِ عَزّ وَجَلّ. قَالَ: فَإِنّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكَ، بِأَنّ اللّهَ قَدْ أَحَبّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ " (رواه مسلم)

ولقد شاع بين الناس حب أهل الفساد والفجور من فَسَقَة أهل الفن الهابط وبغض أهل التقوى والصلاح من المؤمنين ، ومن أحب شخصاً تعلق قلبه به ومن تعلق به قلبه لم يعد يذكر غيره ، ومن لم يعد يذكر غيره يُحَبب إليه فعله وقوله حتى ملبسه حتى يصير نسخة منه واستحق أن يحشر معه وصدق رسول الله حين يقول : " الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ " (متفق عليه)

حب الوالدين وذوى الأرحام .

إن صلة الأرحام من موجبات الشرع الحكيم وقطعها من أكبر الذنوب والمعاصي حتى وإن كان ذو الرحم كافراً .

---

(١) الإمام المناوي " فيض القدير شرح الجامع الصغير " ج ٢ ص ٣٦

يقول تعالى : { وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَى ثُمَّ إِلَى مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } (لقمان : ١٥)

تأمل معي ، أخي الحبيب ، هذه الآية العجيبة التي تأمر بوجوب صلة الوالدين وإن كانا كافرين بل وإن حَرِصَا كل الحرص على أن تكفر بالله فلا تقبل منهما ذلك، ومع هذا يجب أن تكون بارًا بهما محسناً إليهما غير قاطع لرحمهما .

أين ذلك مما نسمع ونرى كل يوم من عقوق الأبناء لوالديهم والإساءة إليهما وربما امتدت أيدي بعض الأبناء الآثمة عليهما بالضرب أو القتل !!

إن الوالدين رغم أنهما يضحيان بالعزيز والغالي في سبيل أبنائهما إلا إنه لا سلطان لهما على أولادهما صغاراً ولا يجنيان منهم إلا الجحود والعقوق كباراً ولا يكاد يمر يوم حتى نسمع جريمة شنعاء في حق الوالدين أحدهما أو كليهما فعندما يكبر الأبوان يصيران عبئاً ثقيلاً على أولادهما الذين يتنصلون منهما وكل واحد من الأبناء يلقى بتبعة أبويه على الآخر ويتذرع بألف حجة للتنصل من رعايتهما ! وينتهي الأمر بإيداع الوالدين إحدى دور المسنين ليظلا بقية حياتهما في تعاسة يحتسيان كئوس الوحدة والشقاء والمرض !

مع أن الله تعالى نص في كتابه العزيز على وجوب رعاية الوالدين حتى الرمق الأخير وألا يتركهم الأولاد يعيشون في غير كنفهم فيقول تعالى :

{ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا } (الإسراء : ٢٣) فيصرح القرآن الكريم بأن الوالدين يجب أن يبلغا الكبر عند أولادهما لا في دور المسنين { يبلغان عندك الكبر } وعلى الأولاد ألا يُسْمِعوا أبويهما ما يغضبهما حتى ولو كلمة بسيطة فيها تضجر مثل : { أف } بل على الأولاد أن يحيطوا والديهم بالحب والحنان والرحمة وأن يذل نفسه ليعز والديه ويدعو الله دائماً لهما بالمغفرة أحياء وأمواتاً .

وحذرنا الله تعالى من قطع الأرحام فقال : { وَاتَّقُواْ اللّهَ الذي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } (النساء : ١)

أي اتقوا الله أن تعصوه، واتقوا الأرحام أن تقطعوها .

يقول الإمام القرطبي : " اتفقت الملة على أن صلة الرحم واجبة وأن قطيعتها محرمة. وقد صح أن النبي ﷺ قال لأسماء وقد سألته أ أصل أمي ؟ (نعم صلى أمك) فأمرها بصلتها وهى كافرة. فلتأكيدها دخل الفضل في صلة الكافر " [١]

ولقد جعل الله تعالى في صلة الرحم بركة في الرزق والعمر .

يقول النبي ﷺ : " قَالَ تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ فَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ فِي الْأَهْلِ مَثْرَاةٌ فِي الْمَالِ مَنْسَأَةٌ فِي الْأَثَرِ " حديث صحيح (رواه أحمد والترمذي) " منسأة في الأثر " أي أن صلة الرحم تكون سببا للتوفيق للطاعة والصيانة عن المعصية فيبقى بعده الذكر الجميل، فكأنه لم يمت " [٢]

وكثيرة تلك الأحاديث التي تحث على صلة الأرحام منها " مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ رِزْقُهُ، أَو يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ " (متفق عليه)

الفرق بين الواصل والمكافئ

بعض الناس يعامل أقاربه كما يعامل غيرهم من الناس إن سألوا عنه يسأل عنهم وإن ودُّوه ودهم ، وإن أساءوا إليه أساء إليهم . ويعلمنا النبي ﷺ الفرق بين الواصل للرحم والمكافئ أي المجازى لأقاربه إن صلة فصلة، وإن قطعاً فقطع .

يقول النبي ﷺ : " ليسَ الواصلُ بالمُكافئِ ولكنَّ الواصلَ الَّذي إذا انقطعَتْ رحمُهُ وصلَهَا " (رواه البخاري)

وعن عكرمة قال: قال عمر بن الخطاب: ليس الوصل أن تصل من وصلك، ذلك القصاص، ولكن الوصل أن تصل من قطعك "

وهذا من باب الحث على مكارم الأخلاق كقوله تعالى: {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ} (المؤمنون : ٩٦)

ومنه ما جاء في الحديث الصحيح " صل من قطعك وأحسن إلى من أساء إليك وقل الحق ولو على نفسك ".

---

(١) الإمام القرطبي في تفسيره ج ٥ ص ٦

(٢) ابن حجر العسقلانى " فتح الباري بشرح صحيح البخاري " ج٦ص٢٠٦

obeikandl.com

وقد أخبر النبي ﷺ أنه لا يدخل الجنة من استحل قطيعة الرحم فعادى أهله وألد في خصامهم فيقول النبي ﷺ : " لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ " أي قاطع رحم (رواه مسلم)

عن أبي هريرة قَالَ : قَالَ رَسُول الله ﷺ :

" إِنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ الخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ ، فَقَالَتْ : هَذَا مُقَامُ العَائِذ بِكَ مِنَ القَطِيعَةِ ، قَالَ : نَعَمْ ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ ؟ قَالَتْ : بَلَى ، قَالَ : فَذَلِكَ لَكِ ، ثُمَّ قَالَ رَسُول الله ﷺ : " اقْرءوا إِنْ شِئْتُمْ : { فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ } (محمد:٢٢ – ٢٣) (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

وأن رجلاً قال: يا رسول الله! إنّ لِي قَرابةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي ، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ ، وَأَحْلَمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ ، فَقَالَ : " لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ ، وَلاَ يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ " (رواه مسلم) ويشرح الإمام مسلم هذا الحديث فيقول : (ويجهلون علي) أي يسيئون والجهل – هنا – القبيح من القول وهو تشبيه لما يلحقه من الألم بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم. (تسفهم المل) المل هو الرماد الحار. أي كأنما تطعمهموه. (ظهير) الظهير المعين والدافع .

أنواع الرحم

الرحم نوعان : رحم قرابة وولادة ، ورحم إيمان وإسلام .

ورحم القرابة نوعان : رحم يرث ، ورحم لا يرث ، ورحم تجب نفقته بالحكم كالأصول والفروع ، ورحم لا تجب نفقته بالحكم كالحواشي بل بالصلة والإحسان . والصلة تكون بالمال وتكون بالزيارة والإحسان وبالصفح في الأقوال وبالعون في الأفعال وبالألفة بالمحبة والاجتماع وغير ذلك من معاني التواصل هذا في الدنيا وأما فيما بعد الموت فبالاستغفار لهم والدعاء ونحو ذلك ومن الصلة للرحمين تعليمهم ما يجهلون وتنبيههم على ما ينفعهم ويضرهم . [1]

وأمر الله تعالى بإيتاء ذي القربى لقرب رحمه ؛ وجعل تعالى خير الصدقة ما كانت على القريب ؛ لأن فيها صلة الرحم .

---

(١) الإمام المناوى " فيض القدير " الجزء الثاني حرف الهمزة .

{ فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْـهَ اللَّـهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } (الروم : ٣٨)

حب الوطن

وحب الوطن فطرة مغروسة في الإنسان ، فالإنسان يحن إلى مسقط رأسه ، وإلى البلد الذي وجد فيه راحته لذا فقد كان النبي ﷺ عندما يقترب من المدينة المنورة يسرع بدابته تشوقاً لها وحنياً .

فعن عبد اللّه بن الحمراء الزهري، أنه سمع رسول اللّه ﷺ وهو واقف بالحرورة بسوق مكة يقول: "واللّه إنك لخير أرض اللّه وأحب أرض الله إلى اللّه، ولولا أنى أُخرجت منك ما خرجت" (رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجة)

أما محبة الوطن فمستولية على الطباع مستدعية أشد الشوق إليها .

وما أحسن ما قال بعضهم :

بلاد ألفناها على كل حالة وقد يؤلف الشيء الذي ليس بالحسن

ونستعذب الأرض التي لا هوا بها ولا ماؤها عذب و لكنها وطن . (١)

ولله در مصطفي صادق الرافعي إذ يقول :

و لا خير فيمن لا يحب بلاده ولا في حليف الحب إن لم يتيم

ومن تؤوه دار فيجحد فضلها يكن حيواناً فوقه كل أعجم

أ لم تر أن الطير إن جاء عشه فآواه في أكنافه يترنم

ومن يظلم الأوطان أو ينسى فضلها تجئه فنون الحادثات بأظلم

و ما يرفع الأوطان إلا رجالها وهل يرقى الناس إلا بسلم

وعن الأصمعي قال : قالت الهند – أهل الهند – ثلاث خصال في ثلاث أصناف من الحيوان: الإبل تحن إلى أوطانها وإن كان عهدها بعيداً، والطير إلى وكره وإن كان موضعه مجدباً، والإنسان إلى وطنه وإن كان غيره أكثر له نفعاً ، وفيها أيضاً

(١) شهاب الدين الأبشيهى " المستظرف في كل فن مستظرف " ٢/ ٩٣.

عن الأصمعي سمعت إعرابيّاً يقول إذا أردت أن تعرف الرجل فانظر كيف تحننه إلى أوطانه ، وتشوقه إلى إخوانه ، وبكاؤه على ما مضى من زمانه . [١]

ولقد ابتلانا الله بداء عضال وهو كره بعض الناس البلاد والأوطان فلا تكاد تجلس في مجلس إلا انهال بعض الجالسين على مصر طعناً وتجريحاً ، وعلى حكامها باللعنات تصريحاً وتلميحاً ، وإذا ما كُلِّف أحدهم بعمل لا يكاد يقوم به ويلقى اللوم على الحكومة ويحملها كل مسئولية ويعفي نفسه من أية مسئولية ، وأقصى أمانيه السفر وترك البلاد إلى أي مكان ، ونسى هؤلاء أن البلاد لا تكون جميلة إلا بأهلها ، ولا تتقدم إلا برجالها وأن الحكومة إن كانت فاسدة فالمجتمع يكون أفسد ، وصدق القائل إذا أردت أن يحكمك أبو بكر فكن أنت عمر وهم ليسوا عمر ولا أدنى من أي صحابي ومع ذلك يتعجبون لماذا لا يحكمهم أبو بكر أو عمر ! [٢]

سألَ أحَدُهم عليًّا رضي الله عنه" :لماذا لَم يشغب أحدٌ على مَنْ قبلك؟ "فأجابهُ : "لأنَّهم كانوا يَحْكُمون أمثالي، وأنا أَحْكُم أمثالَك"؛ أيْ: كيفما تكونوا يُوَلَّ عليكم ؛ فبهت الذي سأل .

لقد فشا في كثير منا الإهمال والسلبية والتواكل وأكل مال الناس بالباطل ، والفوضى والرياء وحب النفس والأنانية ومع ذلك ينتظرون من الحكومة – رغم ذلك – أن تحقق لهم أحلامهم دون بذل أي جهد لمساعدتها فعلى الحكومة أن تجد وظيفة لكل خريج على أن تكون هذه الوظيفة قريبة من محل إقامته ولا تحتاج إلى جهد كبير وبمرتب كبير جداً !! فإذا وفرت له الدولة فرص عمل في مناطق بعيدة مثل توشكى أو سيناء فضَّل البطالة على العمل، وفضَّل سب الحكومة على مساعدتها ! ونقول لمثل هؤلاء : وعلى فرض أن الحكومة فاسدة فكن أنت مصلحاً. فلا تزر وازرة وزر أخرى ، ولن يعفيك فساد غيرك من الحساب على فسادك فعلى الإنسان ألا يقلد إلا في الخير والبر حتى لا يكون إمعة .

يقول النبي :" (لا تَكونوا إمَّعَةً تقُولونَ إنْ أحسَنَ النَّاسُ أحسنا وإنْ ظَلَموا ظَلَمنا ولكنْ وطِّنُوا أنفُسكُم إنْ أحسَنَ النَّاسُ أن تُحسنُوا وإنْ أسَاءوا فلا تَظلِموا "

(رواه الترمذي والطبراني)

---

(١) الإمام العجلونى " كشف الخفاء " باب " حب الوطن قتّال " .

(٢) كان هذا حال كثير من الناس قبل ثورة الخامس والعشرين من يناير ، ولكن الثورة أثبتت أن هؤلاء الناس لم يكونوا يكرهون أوطانهم بل يكرهون حكامهم .

وقال ﷺ : "إِذَا قالَ الرَّجُلُ هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ." (متفق عليه)

أي أشدُّهم هلاكاً لأنه قال: ذلك على سبيل الإزراء عليهم والاحتقار لهم وتفضيل نفسه عليهم ، لأنه لا يدرى سرّ اللّه تعالى في خلقه، هكذا كان بعضُ علمائنا وقال الخطابي : معناه : لا يزالُ يعيبُ الناسَ ويذكرُ مساويهم ويقول : فسدَ النَّاسُ وهلكوا ونحو ذلك ، فإذا فعل ذلك فهو أهلكُهم : أي أسوأ حالاً فيما يَلحقُه من الإثم في عيبهم والوقيعة فيهم ، وربما أدّاه ذلك إلى العجب بنفسه ورؤيته أن له فضلاً عليهم، وأنه خير منهم فيهلك . (١)

وهناك رواية أخرى للحديث " فهو أهلَكَهُم " بفتح الكاف أي هو السبب في هلاكهم بتقصيره في أداء ما هو مكلف به من العمل الجاد المثمر ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة .

القلب محل الرحمة

والقلب محل الرحمة ، والرحمة من خصائص هذا الدين العظيم أنه جاء رحمة للعالمين ، رحمة تشمل جميع الكائنات تشمل السموات والأرض وما بينهما من إنس وجن وحيوان وطير ونبات وجماد ، رحمة ليست لجنس منها فقط وليست محدودة بوقت معين إنما رحمة لجميع المخلوقات كلها إلى يوم الدين !!

ولما العجب فإن مصدر هذه الرحمة هو الله الرحمن الرحيم الذي كتب على نفسه الرحمة .

{ قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُل للّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ } (الأنعام : ١٢)

ولقد أرسل الله الرحمن الرحيم رب العالمين رسوله الكريم رحمة للعالمين .

{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } (الأنبياء : ١٠٧)

فرسل الله خلقوا للرحمة ، ومحمد ﷺ خلق بنفسه رحمة ، فلذلك صار أماناً للخلق من العذاب إلى نفخة الصور .

---

(١) الأمام النووي " الأذكار " باب حفظ اللسان .

openkanal.com

{وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ }
(الأنفال : ٣٣)

وجعل الله تعالى الإسلام والقرآن رحمة للعالمين فعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال في قوله الله تعالى :

{ قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ } (يونس : ٥٨)
قال : أي بالقرآن وبالإسلام فليفرحوا .

ولقد أخبر الله تعالى بأن من صفات سيدنا محمد الرأفة والرحمة بالمؤمنين .

{لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ } (التوبة : ١٢٨)

والرحمة ليست خاصة بالمؤمن فقط ، وإنما تشمل حتى الكفار أيضاً .

قال النبي ﷺ على باب الكعبة ثم قال : " مَا تَرَوْنَ أَنِّى صَانِعٌ بِكُمْ؟ ". قَالُوا : خَيْرًا أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ. قَالَ : " اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ " .. (١)

بل واتسعت الرحمة في الإسلام لتشمل الأعداء أيضاً .
{وَقَاتِلُواْ في سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ }
(البقرة : ١٩٠)

أي قاتلوا في سبيل اللّه ولا تعتدوا في ذلك، ويدخل في ذلك ارتكاب المناهي من المثلة والغلول وقتل النساء والصبيان والشيوخ وأصحاب الصوامع وتحريق الأشجار وقتل الحيوان لغير مصلحة .

عن بريدة أن رسول اللّه ﷺ كان يقول : " اغزوا في سبيل اللّه ، قاتلوا من كفر باللّه ، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا الوليد ، ولا أصحاب الصوامع ". (رواه مسلم)

بل والأعجب أن النبي جعل مجرد نطق الكافر المقاتل بالشهادة فإن ذلك يجعله معصوم الدم وإن كان يقول ذلك تعوذاً من المسلم .

---

(١) ابن حجر العسقلاني " فتح الباري بشرح صحيح البخاري" ج ٨ ص ١٨ .

فعن أُسَامَةَ بْنَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يُحَدِّثُ قَالَ : " بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ إِلَى الْحُرَقَةِ مِنْ جُهَيْنَةَ قَالَ فَصَبَّحْنَا الْقَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ قَالَ وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ رَجُلا مِنْهُمْ قَالَ فَلَمَّا غَشِينَاهُ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ قَالَ فَكَفَّ عَنْهُ الأَنْصَارِيُّ فَطَعَنْتُهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ قَالَ فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ فَقَالَ لِي يَا أُسَامَةُ أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا كَانَ مُتَعَوِّذًا قَالَ أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ قَالَ فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ ." (مُتَّفَقٌ عَلَيْه)

وفي رواية : فقال رَسُول اللَّه ﷺ : " أقال لا إله إلا اللَّه وقتلته ؟ " قلت : يا رَسُول اللَّه إنما قالها خوفاً من السلاح. قال: " أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا ؟! " .(متفق عليه)

قوله " متعوذاً " : أي معتصماً بها من القتل لا معتقداً لها " (١)

وعن أبى معبد المقداد بن الأسود رَضِى اللَّهُ عَنْهُ قال قلت لرَسُول اللَّـهِ ﷺ : أرأيت إن لقيت رجلاً من الكفار فاقتتلنا فضرب إحدى يدي بالسيف فقطعها ثم لاذ منى بشجرة فقال أسلمت لله أأقتله يا رَسُول اللَّه بعد أن قالها ؟ فقال : " لا تقتله " فقلت: يا رَسُول اللَّه قطع إحدى يدي ثم قال ذلك بعد ما قطعها ؟ فقال: " لا تقتله، فإن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال " (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

فأية رحمة تلك التي تصون دماء الأعداء ؟! وأي رجل هذا الذي ينهى عن قتل أطفال الكفار المعتدين ونسائهم وشيوخهم و قطع شجرهم ؟! وأي دين هذا الذي جاء رحمة للعاملين ؟! إنها رحمة الله تعالى الرحمن الرحيم بخلقه أرسل بها محمداً ﷺ الرءوف الرحيم ، إنه دين الإسلام .

ولم تقتصر الرحمة في الإسلام على البشر : مؤمنهم ، وكافرهم إنما سمت وارتقت لتشمل الحيوان والنبات أيضا وشملت ، ويا للعجب ، الجماد ولما العجب فكل ما في الكون يسبح بحمد الله وإن كنا لا نفقه تسبيحه .

---

(١) الإمام النووي " رياض الصالحين " ص ٢٥٠

{ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا} (الإسراء : ٤٤)

لذا كان الرسول الرءوف الرحيم يحب جميع خلق الله ، وبادلته المخلقات حبا بحب !! ألم يقل النبي عن جبل أُحُد : " هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ " (متفق عليه)

قال على : خرجت مع رسول الله ﷺ في بعض شعاب مكَّة فما مرَّ بحجر ولا شجر، ولا مدر، إلا قال: السَّلام عليك يا رسول الله " [1]

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال :

" كَانَ الْمَسْجِدُ مَسْقُوفًا عَلَى جُذُوعٍ مِنْ نَخْلٍ فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا خَطَبَ يَقُومُ إِلَى جِذْعٍ مِنْهَا فَلَمَّا صُنِعَ لَهُ الْمِنْبَرُ وَكَانَ عَلَيْهِ فَسَمِعْنَا لِذَلِكَ الْجِذْعِ صَوْتًا كَصَوْتِ الْعِشَارِ حَتَّى جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا فَسَكَنَتْ " (رواه البخاري)

ومن رحمته ﷺ نهيه عن اتخاذ الناس دوابهم كراسي لأحاديثهم .

أَنَّهُ ﷺ مَرَّ عَلَى قَوْمٍ وَهُمْ وُقُوفٌ عَلَى دَوَابَّ لَهُمْ وَرَوَاحِلَ فَقَالَ لَهُمُ: ارْكَبُوهَا سَالِمَةً وَدَعُوهَا سَالِمَةً وَلاَ تَتَّخِذُوهَا كَرَاسِيَّ لأَحَادِيثِكُمْ فِي الطُّرُقِ وَالأَسْوَاقِ، فَرُبَّ مَرْكُوبَةٍ خَيْرٌ مِنْ رَاكِبِهَا وَأَكْثَرُ ذِكْرًا لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْهُ . " صحيح (رواه أحمد)

ولقد أخبر النبي ﷺ أن تعذيب الإنسان للحيوان يسلكه النار .

عن ابن عمر رَضِى اللَّهُ عَنْهُما أن رَسُول اللَّه ﷺ قال : " عُذِّبَت امْرَأَةٌ فِي هِرَّة سَجَنَتْها حَتَّى مَاتَتْ ، فَدَخَلَت فِيهَا النَّارَ ، لاَ هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَسَقَتْهَا ، إِذْ حَبَسَتْهَا ، وَلاَ هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ " (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

بل أخبر النبي ﷺ بأن من يقطع شجرة نافعة للناس أو للبهائم فإن الله تعالى معذبه بقطعها . قال رَسُولُ الله ﷺ : "مَنْ قَطَعَ سِدْرَةً صَوّبَ الله رَأْسَهُ في النّارِ" حديث صحيح (رواه أبو داود والبيهقى)

سُئِلَ أَبُو دَاوُدَ عنْ مَعْنَى هَذَا الحديث فقالَ: "هَذَا الحديثُ مُخْتَصَرٌ، يَعْنى مَنْ قَطَعَ سِدْرَةً في فَلاَة يَسْتَظِلّ بها ابنُ السّبِيلِ وَالْبهَائِمُ عَبَثاً وَظُلْماً بِغَيْرِ حَقَ يَكُونُ لَهُ فيهَا صَوّبَ الله رَأْسَهُ في النّارِ".

---

(١) ابن كثير " البداية والنهاية " ج ٦ ص ٣٢٢ .

كما أخبر ﷺ أن إحسان الإنسان للحيوان يرفع أجره ويهديه إلى الجنة .

وعن رسول اللّه ﷺ أنه قال : " بينما رجل يمشى بطريق فاشتدّ عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيها، فشرب ثم خرج ، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي بلغ بي، فنزل البئر فملأ خُفّه ثم أمسك الخُفّ بفيه حتى رَقِى فسقى الكلب، فشكر اللّه له فغفر له، قالوا : يا رسول اللّه، وإنّ لنا في البهائم لأجراً؟ قال: في كل ذات كَبِد رطبة أجر." (متفق عليه) وفي رواية للبخارى: فشكر اللّه له فغفر له فأدخله الجنة .

ووصلت الرحمة بالنبي ﷺ أن يعلمنا أن نحسن ذبح ما نذبح من حيوان أو طير لنطعمه فنحد السكين ونُرِح الذبيحة .

عن رَسُول اللّه ﷺ قال: " إذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته " (رواه مسلم وأصحاب السنن).

كيف يقال بعد ذلك أن الإسلام دين الإرهاب والقسوة والغلظة إن الإسلام دين الرحمة ومن قال بخلاف ذلك من المسلمين أو غيرهم فإنه يتحدث عن دين آخر غير الإسلام الذي جاء به محمد بن عبد الله الرحمة المهداة والنعمة المسداة .

كيفية تغيير المنكر

وللأسف أنه شاع بين العالمين اليوم أن الإسلام دين الإرهاب وأن كلمة الإرهابيين مرادفة لكلمة مسلمين ويرجع ذلك لأمرين هما :

أولا : فهم بعض المسلمين الخاطئ للإسلام وأنه يجب استخدام القوة مع المخالفين لهم في الرأي من المسلمين وغيرهم وأن تغيير المنكر باليد على أية حالة هو أسمى درجات الإيمان . وهذا فهم منكر مردود على صاحبه وهاك الحديث الذين يحتج به المتطرفون ليبرروا أعمالهم التخريبية وأفعالهم الآثمة .

روى الأئمة عن أبى سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ " (رواه مسلم)

والحديث حجة على هؤلاء المتطرفين وإليك بيان المقصود بالحديث الشريف "من رأى" معناه وجوب التثبت من حقيقة المراد تغيره وعدم أخذ الناس بالظن واتهامهم

بغير دليل مصداقاً لقوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ } (الحجرات : ٦) لذا استخدم النبي ﷺ الفعل " رأى " الذي يدل على تمام اليقين ولم يقل سمع أو قيل له أو ظن ، وكثير من أولئك المتطرفين لا يتحرون الدقة فيما يقومون به من عنف وإرهاب فقد حاول رجل – يعمل سماكاً – أن يقتل الروائي نجيب محفوظ ولما سئل لماذا أردت قتله ؟

- قال لأنه كافر وكتاباته كلها كفر .

- وهل قرأت لنجيب محفوظ ما جعلك تحكم بكفره ؟

- لا .. لم أقرأ !!

وأكْتُشِف أنه جاهل لا يقرأ وإنما أفتى له أمير الجماعة بقتل محفوظ لأنه كافر فقام هو بتنفيذ الحكم دون تثبت من التهمة !! والذين قتلوا السياح الأجانب في الأقصر عام ٩٧ ، والمواطنين المسيحيين قيل لهم – دون بينة – إنهم كفار مستباحو الدم والمال فقاموا بتنفيذ جرائمهم المنكرة !!

إذن لا بد من التيقن بالدليل القاطع من وقوع المنكر ، ومواجهة صاحب المنكر بتهمته وبيان وجه الحق له – بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن – فربما كان جاهلاً بحقيقة الشرع وأن ما عمله كان عن جهل وليس عن قصد .

نأتي الآن لبيان المقصود بكلمة " منكر " التي وردت في الحديث المنكر هو ما أنكره الشرع بنص قطعي الثبوت قطعي الدلالة وأجمع العلماء على حرمته فإن كان النص ظني الثبوت والدلالة ومما اختلف العلماء فيه فلا يعد منكراً إن صح عن بعض العلماء إباحته وكما يقول العلماء " إنما ينكر المتفق عليه ولا ينكر المختلف فيه " ، ففي اختلاف العلماء رحمة لكن المتطرفين يفهمون المنكر على غير هذا ، فالمنكر عندهم هو ما يراه هو منكراً ، وإن خالف رأيه رأى العلماء – أو بعضهم – كتحريمهم حلق اللحية وفرضية النقاب ...

نأتي إلى قوله ﷺ " فليغيره بيده " يظن المتطرفون أن التغير باليد حق لكل إنسان ومقياس قوة الإيمان فعلى قدر إيمانك يكون تغيرك للمنكر فإن كان إيمانك كبير ،

أمثالهم !! فعليك أن تغير ما تراه منكرا بالقوة و إلا كنت ضعيف الإيمان وبهذا الفهم المغلوط راحوا يسفكون دماء الأبرياء من المسلمين وغير المسلمين !! مع أن المطالب بتغير المنكر باليد – بعد التحقق من كونه منكراً شرعاً وإقامة الدليل عليه ومراجعة صاحبه واستتابته – هم أولياء الأمور وليس العامة بل وليس علماء الدين أيضاً وإلا عمت الفوضى وانتشر الفساد وكثرت الفتن كما حدث فيما خلا من سنوات لا أعادها الله علينا ثانية .

فإن كان الإنسان الذي رأى المنكر من غير أولى الأمر فليس من حقه تغيير المنكر بالقوة إنما عليه تبليغ أولى الأمر بما رأى ليأخذوا تدابيرهم فإن تقاعسوا عن أداء واجبهم فهم المسئولون أمام الله يوم القيامة ، فإن استطاع أن يقدم لمن ارتكب المنكر نصيحة تبين له خطأ ما يفعل فعل ، وإلا فعليه أن يستنكر هذا المنكر ويبرأ لله منه .

ولنضرب لذلك مثالاً لتوضيح الأمر .

إذا رأى رجل ابنته البالغ تلبس ما يكشف عورتها أو يجسمها أو يشف عنها فإن عليه والحالة هذه أن يمنعها بالقوة [1] من الخروج على الناس بهذه الملابس الفاضحة فهو والحالة هذه ولى أمرها ، فإذا جاءت صديقة ابنته وكانت ترتدى نفس الملابس فإن عليه أن ينصحها بالحكمة والموعظة الحسنة إذ ليس له عليها سلطان ، فإن خرج إلى الطريق ورأى فتاة ترتدى نفس الملابس الفاضحة غض بصره واستنكر بقلبه ما رأى .

فالإنسان قد يكون في موقف مغيراً للمنكر بالقوة وموقف آخر باللسان وثالث بالقلب .

ونأتي إلى معرفة المقصود بـ" أضعف الإيمان " المذكورة في الحديث فإن معناها أقل درجات التغيير وليس معناها أن من يغير بقلبه ضعيف الإيمان – إن كان لا يملك سلطة التغيير باليد أو اللسان – فضعف الإيمان معناه أقل ثمرة كما قال العلماء " (أضعف الإيمان) أضعف أعمال الإيمان المتعلقة بإنكار المنكر في ذاته لا بالنظر إلى غير المستطيع ، فإنه بالنظر إليه هو تمام الوسع والطاقة وليس عليه غيره " [2]

---

(١) بعدما يكون قد استنفد جهده في تربيتها على شرع الله بالحكمة والموعظة الحسنة .

(٢) الإمام السندى " حاشية السندى على النسائى " ج ٨ ص ١١١

ونأتي بعد هذا البيان إلى رأى علماء الدين في شرح الحديث يقول الإمام القرطبي: " قال العلماء: الأمر بالمعروف باليد على الأمراء ، وباللسان على العلماء، وبالقلب على الضعفاء ، يعنى عوام الناس " (١)

ويقول القاضي عياض : في الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر : " يستحب أن يكون متولي ذلك من أهل الصلاح والفضل لهذا المعنى ، ويغلظ على المتمادي في غيه والمسرف في بطالته إذا أمن أن يؤثر إغلاظه منكرا أشد ما غيره ، لكون جانبه محميا عن سطوة الظالم ، فإن غلب على ظنه أن تغييره بيده يسبب منكراً أشد منه من قتله أو قتل غيره بسبب كف يده واقتصر على القول باللسان والوعظ والتخويف ، فإن خاف أن يسبب قوله مثل ذلك غير بقلبه وكان في سعة ، وهذا هو المراد بالحديث إن شاء الله تعالى، وإن وجد من يستعين به على ذلك استعان ما لم يؤد ذلك إلى إظهار سلاح وحرب، وليرفع ذلك إلى من له الأمر إن كان المنكر من غيره ، أو يقتصر على تغييره بقلبه، هذا هو فقه المسألة وصواب العمل فيها عند العلماء والمحققين، خلافا لمن رأى الإنكار بالتصريح بكل حال وإن قتل ونيل منه كل أذى " (٢)

تقليد المسلمين أعداءهم في جرائمهم

ومن الأمور التي ابتليت بها أمة الإسلام وأصبحت وصمة عار في جبين المسلمين قتل ، وخطف المدنيين بدعوى أن هذا جهاد وأنه سيجبر المحتلين على الجلاء – والعجيب أنهم لم يكتفوا بخطف الأجانب فقط فراحوا يقتلون ويخطفون المسلمين أيضاً ! – مما كان له أسوأ الأثر على تشويه صورة الإسلام والمسلمين أمام العالمين ، والمدهش أنك ما إن تنتقد هذا المسلك المشين الخارج على تعاليم الإسلام حتى ينفجر فيك الناس بمقارنة هذه الأعمال وما يقوم به أعداء المسلمين الذين يرتكبون أبشع الجرائم ضد الأبرياء والمستضعفين ، ونسى هؤلاء أن الإسلام لا ينتصر بتخلي المسلمين عن مبادئه والتمسك بأخلاق أعدائه ، إنما ينتصر بالتحلي بمبادئه ، والتخلي عن المشين من أخلاق أعدائه ، وما انتصر المسلمون الأوائل إلا بقيم الإسلام التي لا تجيز قتل الأبرياء غير المحاربين من أطفال ، ونساء ، وشيوخ، ورهبان ..

---

(١) تفسير القرطبي ج٤ ص ٤٩ .

(٢) الإمام النووي " صحيح مسلم بشرح النووي " ج ٢ ص ٢٥

يذكر المؤرخون المسلمون أن الخليفة الأول أبا بكر الصديق ﷺ في المعارك الكبرى التي دارت بين المسلمين والإمبراطوريتين العتيدتين فارس والروم- أرسل إليه رأس أحد قادة الأعداء من قلب المعركة إلى المدينة عاصمة الدولة الإسلامية، وكان القائد يظن أن الخليفة يُسَرُّ بذلك، ولكن الخليفة غضب لهذه الفعلة لما فيها من المُثلة، والمساس بكرامة الإنسان، فقالوا له: إنهم يفعلون ذلك برجالنا. فقال الخليفة في استنكار: آستناناً بفارس والروم؟ لا يُحمل إليَّ رأس بعد اليوم! [1]

ولو أننا عملنا ما يعمل أعداؤنا لصرنا مثلهم وهذا ما يتمنونه { وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء } (النساء : ٨٩) .

هذا على المستوى الديني أما على المستوى السياسي فإن هذه الأعمال أضرت بالقضية العادلة التي ندافع عنها فقد حولت الصراع من مقاومة مشروعة لمحتل غاصب ، إلى حرب قوى خيرة (2) ضد إرهاب حاقد !

ثانيا : الأمر الآخر الذي سبب اتهام الإسلام بالإرهاب هو ترويج أعداء الإسلام لهذه التهمة حتى يجدوا مسوغاً لاحتلال بلاد الإسلام والقضاء على الإسلام نفسه ليقفوا في وجه أفواج الداخلين في الإسلام – رغم سوء حال المسلمين وتقصير دعاة الإسلام – بعدما طحنتهم ماديات الحياة وبعدما فشل ما يدينون به من أديان سماوية محرفة أو عقائد إنسانية مضللة في إنقاذهم مما هم فيه من ضياع .

وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر واهتزاز مكانة أمريكا عالميّاً راحت تلصق تهمة الإرهاب بالمسلمين وخاصة تنظيم القاعدة وعلى رأسهم أسامة بن لادن، وحركة طالبان وجعلت ذلك مسوغاً لاحتلال أفغانستان وتدميرها ، كما لم تجد أسلحة التدمير الشامل التي غزت العراق لاتهامه بحيازتها لها !!

وهكذا فإن الإسلام واقع بين المطرقة والسندان واقع بين تخلف أبنائه وكيد وأعدائه .

أمراض القلوب

وأمراض القلوب كثيرة وخطيرة فهي أشد فتكاً من أمراض الأبدان على الإنسان فأمراض الأبدان قد تورث توبة وإنابة إنما أمراض القلوب تورث الكفر والنفاق .

---

(١) د. يوسف القرضاوي " موقع القرضاوي " بتاريخ ٢٧-١٢-٢٠١٠ .

(2) صرح أحد وزراء خارجية العرب بأن : أمريكا قوة خير للعالم !

openkandil.com

يقول الشيخ محمد الغزالي : " معاصي القلوب أخطر من معاص الجوارح وأخشى أن يكون ما ينتشر بيننا وبين غيرنا من عوج خاضع لهذا القانون ! لقد تذكرت حرب ١٩٦٧م التي خسر العرب فيها القدس وسيناء والجولان والضفة الغربية في حرب لم تدم إلا بضع ساعات ؟ .. ولو أن الذي قاد هذه الحرب أحد الخواجات لآثر أن يطلق على دماغه الرصاص واستحى أن يقابل أمته بهذا العار . لكن قائد الهزيمة عندنا عاد إلى قواعده سالماً ليكافئ من يقول له الحمد لله على سلامتك وليطارد من يقول له : كيف ألحقت بنا هذه الفضيحة . إن أوروبا لا تقبل أن يشيع فيها الانحراف الحيواني ، لا تقبل ولا يمكن أن تقبل أن يقع فيها هذا الانحراف الإنساني ، هذا هو الفرق بين الرذيلة عندنا وعندهم ..

إن الكبر والحسد والافتخار بالنفس أو النسب أو المال ، وحب الخلاف وحب الظهور وحب السمعة ، والرغبة في التسلط والرغبة في هضم أولى الكفاية ، إن هذه الرذائل أشنع من ترك العنان للغريزة الجنسية تنطلق على النحو السيئ الموجود في ظل المدنية الحديثة ومن هنا فإن خصومنا لن يضاروا كثيراً أو على عجل من عللهم كما نضار نحن المسلمين من آفات الرياء والكبرياء المبعثرة في كل ناحية . إن الإسلام – بداهة – عافية سابغة من أنواع العلل التي تستهلك النفوس والمجتمعات وهو يحارب صنوف المعاصي ويحصن أبناءه ضدها "[١]

ومن أمراض القلوب : النفاق ، والرياء ، والكبر ، والحقد ، والحسد ، والغرور ، وحب الرياسة والجاه ، وحب المال ...

النفاق

وأخطر أمراض القلوب وأشدها فتكاً النفاق ويذكر الله تعالى لنا صفات المنافقين فيقول جل شأنه :

{ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ في قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ } (البقرة : ٨ – ١٠)

---

(١) محمد الغزالي " هموم داعية " ص ٨١

والمنافقون مسلمون – في الظاهر – من أبناء جلدتنا ويتكلمون بلساننا ويعيشون في أوطاننا لكن ولاءهم لأعداء الله والوطن ينفثون سمومهم في أجهزة الإعلام المختلفة : المسموعة والمرئية والمقروءة ، وفي الفنون المختلفة : أدب ، نحت ، رسم ، غناء ، تمثيل ، ويدَّعون أنهم مصلحون وتقدميون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون بل كثير منهم في زماننا مفسدون ويشعرون .

{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَـكِن لاَّ يَشْعُرُونَ } (البقرة : ١٢)

هؤلاء المنافقون هم الذين يستهزئون بشريعة الإسلام وبالمؤمنين فيرمونها بالرجعية ويرمون أهلها بالتخلف ، ويتاجرون في الأعراض والمنكرات فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين .

والعجيب عندما تناقشهم في أمور دينية يهاجمونها رغم أنها معلومة من الدين بالضرورة يقولون لك لا تزايد علينا في ديننا نحن نفهم الإسلام أكثر منك ولا نحتاج إلى من يعلمنا ديننا !!

{ وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكْمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ اللّهُ يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ في طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ } (البقرة : ١٤–١٦)

هؤلاء هم العدو حقاً ولشدة خطورتهم خصهم الله تعالى بصورة كاملة ذكر فيها تعالى أهم نعوتهم ومنها .

{ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاء مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ } (المنافقون : ٢– ٤)

هؤلاء هم السوس الذي ينخر في عقول الأمة ليفسدها ، وهم معاول هدم الفضيلة في المجتمع باسم الفن أو الأدب أو العلم ، هؤلاء المنافقون أضر على المسلمين من الأمريكان واليهود ، هؤلاء بطانة السوء التي تفسد الراعي والرعية . { يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ }
(آل عمران : ١١٨)

ولقد نجح هؤلاء في غيبة التدين الصحيح أن يغزوا الجامعات والإعلام والسياسة والأعمال المؤثرة في المجتمع ورغم قلة هؤلاء إلا أنهم ذوو تأثير كبير في إفساد المجتمع ومن ورائهم أعداء الله يدعمونهم ويسندون ظهورهم.

{ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعًا } (النساء : ١٣٨ – ١٣٩)

هؤلاء المنافقون وراء كل دعوة لعُرْى وخلاعة ، ووراء كل إباحية وفجور، ووراء كل تثبيط للهمم وتغييب للعقول ، ووراء كل دعوة لصرف المسلمين عن شريعة الله تعالى وهدى نبيه المصطفي ، وشغلهم بتوافه الأمور .

{ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ وَعَدَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ }
(التوبة : ٦٧)

هؤلاء المنافقون أحفاد عبد الله بن أبى بن سلول تجدهم وراء كل فاحشة ، وكل مذهب فاسد .

{ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ } (النور : ١٩)

ومهما توارى هؤلاء المنافقون وراء المسميات المختلفة ، والمذاهب المتباينة فإن أقوالهم وأعمالهم تشف عن حقدهم وضغائنهم .

رأيت أحد هؤلاء يعلن في التليفزيون المصري أن جسد المرأة ، كله دون استثناء، ليس عورة وأنه خلق الله ، وخلق الله بديع ولا ينبغي أن يستر منه شيء، ويتعجب من أولئك الذين يدعون ، بالحكمة والموعظة الحسنة ، إلى تغطية عورات النساء ، وذكر أن المشغولين بأعمالهم لا يلتفتون إلى أجساد النساء العارية بعكس الذين لا عمل لهم ، واستشهد بأن الألمان وهم ذاهبون إلى أعمالهم لا يلتفتون إلى النساء

العاريات اللاتي يعرضن مفاتنهن في محال الدعارة إنما من ينجذب إليهن هم العرب أمثاله ، ولولا أني سمعت الرجل بنفسي ما صدقت أن مسلماً في تليفزيون الدولة التي دينها الإسلام يمكن أن يجاهر بهذا والعجيب أن المذيع أيده فيما قال !!

{وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ }(محمد : ٣٠)

أي لتعرفنهم فيما يبدو من كلامهم الدال على مقاصدهم ، يفهم المتكلم من أي الحزبين هو بمعاني كلامه وفحواه ، وهو المراد من لحن القول، كما قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي اللّه عنه: ما أسر أحد سريرة إلا أبداها اللّه على صفحات وجهه، وفلتات لسانه، وفي الحديث: "ما أسر أحد سريرة إلا كساه اللّه تعالى جلبابها، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر" (١)

وما يخفي عن المؤمنين من أعمالهم تكفل الله تعالى بكشفه لذوى البصائر .

{ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ } (محمد : ٢٩)

أي أيعتقد المنافقون أن اللّه لا يكشف أمرهم لعباده المؤمنين؟ بل سيوضح أمرهم ويجليه حتى يفهمه ذوو البصائر، وقد أنزل اللّه تعالى في ذلك سورة فبين فيها فضائحهم، ولهذا كانت تسمى سورة " التوبة " الفاضحة .

وبعد سقوط الحكم العلماني الذي حكم مصر عقوداً متطاولة بقيام ثورة ٢٥ يناير وصعود التيار الإسلام كشف هؤلاء المنافقون عن كرههم للإسلام وأحكامه ، وبدءوا يخوِّفون الناس من الدولة الدينية رغم أن تاريخ الإسلام لم يعرف الدولة الدينية ولم يقل بها أحد من قادة التيارات الإسلامية المختلفة ، وشرعوا يروجون الشائعات : إذا حكم التيار الإسلامي فسوف يفرضون على النساء ارتداء النقاب ، وترك العمل والجلوس في البيت ، وسوف يغلقون دور السينما والمسارح ، ولن يسمحوا إلا بالتواشيح الدينية ، وسوف يقطعون الأيدي والأرجل والآذان ، وسوف يحوِّلوا مصر إلى أفغانستان ... إلى غير ذلك من التُّرهات .

فليحذر هؤلاء المنافقون من عقاب الله تعالى فإن مصيرهم أسوأ مصير أنهم أسوأ من فرعون وملئه ، ومن أبى جهل وحزبه إنهم في الدرك الأسفل من النار خالدين فيه أبداً .

---

(١) تفسير ابن كثير ج ٧ ص ٣٢١ .

{ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا }(النساء : ١٤٥)

فالمنافق في الدرك الأسفل ؛ لغلظ كفره ، وتمكنه من أذى المؤمنين.

{ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِي حَتَّى جَاء أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ فَالْيَوْمَ لاَ يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلاَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ }
(الحديد : ١٣- ١٥)

فليسارع هؤلاء بالتوبة قبل أن يأتي الموت بغتة فإن تابوا وأصلحوا فإن الله تعالى يتوب عليهم وهو التواب الرحيم .

{ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَاعْتَصَمُواْ بِاللّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلّهِ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا } (النساء : ١٤٥- ١٤٦)

الريـــاء

المرائي هو من يتظاهر بالصلاح على خلاف ما عليه ليكسب ثناء الناس وشكرهم، فالمرائي وإن كان يؤدى بعض العبادات الظاهرة ويقوم ببعض أعمال الخير فإنه لا يقصد بها وجه الله تعالى إنما يقصد بها وجه الناس أو يشرك مع الله تعالى الناس ولا ثواب للمرائي عند الله تعالى ؛ فالله جل وعلا لا يقبل إلا ما كان له خالصاً ومن الرياء سالماً .

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالذي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ }
(البقرة : ٢٦٤)

فمن أنفق صدقة أو عمل معروفاً رئاء الناس فقد أبطل صدقته وأفسد عمله .

أخرج أبو داود والنسائي والطبراني بسند جيد، عن أبى أمامة قال: "جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر ما

له؟ فقال رسول الله ﷺ : لا شيء له. فأعادها ثلاث مرات يقول رسول الله ﷺ : لا شيء له . ثم قال : إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتغى به وجهه " .

ولقد سمى النبي ﷺ الرياء الشرك الخفي .

" الشرك الخفي أن يعمل الرجل لمكان الرجل " (رواه الحاكم في المستدرك)

أي يعمل العمل من أجل رجل ليثنى عليه أو يذكر عمله هذا للناس فيعرف به.

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ : خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ . فَقَالَ : أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِى مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ ؟) قَالَ ، قُلْنَ : بَلَى . فَقَالَ (الشِّرْكُ الْخَفِيُّ : أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّى فَيُزَيِّنُ صلاَتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ " حديث حسن (رواه ابن ماجه)

إن أمة محمد في عصورها المتأخرة قد دب فيهم الرياء واستشرى فلا تكاد تجد رجلاً يخلص العمل لوجه الله العلى القدير إنما لأجل منصب أو مال أو عَرَض من أعراض الدنيا الزائلة إلا من رحم ربي .

ويعلمنا الرسول كيف نتقى الرياء أو الشرك الخفي .

عن أبي موسى الأشعري قال: خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم ، فقال : " أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا هَذَا الشِّرْكَ فَإِنَّهُ أَخْفَي مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ " . فَقَالَ لَهُ مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ وَكَيْفَ نَتَّقِيهِ وَهُوَ أَخْفَي مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : " قُولُوا اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا نَعْلَمُهُ وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لاَ نَعْلَمُ " حديث صحيح (رواه أحمد)

وفي الخبر أنه يقال لأهل الرياء: (صمتم وصليتم وتصدقتم وجاهدتم وقرأتم ليقال ذلك فقد قيل ذلك) ثم قال: (إن هؤلاء أول من تسعر بهم النار) .

فالرياء يبطل العمل ، وإن لم يتب عنه صاحبه فإنه يسلكه جهنم .

قال رسول اللّه ﷺ : " قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِى غَيْرِى تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ " (أخرجه مسلم)

وعن أبى سعيد بن أبى فضالة قال، سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: " إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ لِيَوْمٍ لاَ رَيْبَ فِيهِ نَادَى مُنَادٍ مَنْ كَانَ أَشْرَكَ فِي عَمَلٍ عَمِلَهُ لِلَّهِ فَلْيَطْلُبْ ثَوَابَهُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ "
(رواه أحمد وابن ماجه والترمذي)

وقالﷺ : " إنّ أخْوَفَ ما أخافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ الرّياءُ يَقُولُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ إذا جَزَى النّاسَ بأَعْمالِهِمْ اذْهَبُوا إلى الَّذينَ كُنتُمْ تُرَاؤُونَ في الدُّنْيا فانْظُروا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً " (أخرجه أحمد والبيهقى) .

الكبر

الكبرياء لا تكون إلا لله تعالى { وَلَهُ الْكِبْرِيَاء في السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } (الجاثية : ٣٧)

ومن نازع الله تعالى هذه الصفة من مخلوقاته جعل النار مثواه . { فَادْخُلُواْ أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ } (النحل : ٢٩)

قالَ رَسُولُ الله ﷺ قالَ الله تَعالَى: "الْكِبْرِياء رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إزَارِي، فَمَنْ نازَعَنِي وَاحِداً مِنْهُمَا قَذفْتُهُ فِي النّارِ" (أخرجه مسلم وأبو داود وابن ماجه)

وفي بدأ الخليقة تكبر إبليس اللعين على السجود لآدم إذ أمره الله تعالى فَطُرِد من الجنة وحلت عليه لعنة الله تعالى .

" إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ } (ص : ٧١– ٧٨)

فالشيطان إمام كل المتكبرين وهو الداعي إلى كل كبر على الله وخلقه { قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } (ص : ٨٢)

ولقد توعد الله تعالى كل متكبر بأن يصرفه عن آيات الله تعالى الدالة على قدرته، ويعمى بصيرته عن الاهتداء إلى الحق ، ويسلكه طريق الشيطان .

{ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ } (الأعراف : ١٤٦)

وذلك لأنهم تكبروا على الإيمان بالله وعبادته فكان جزاؤهم النار .

{ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ } (الصافات : ٣٥)

{ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ } (غافر: ٦٠)

أما المؤمنون فإنهم لا يستكبرون على الله ولا على خلقه .

{ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ } (السجدة : ١٥)

والكبر طريق الإنسان إلى النار قل أو كثر فلن يدخل الجنة متكبر .

" لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرٍ " (رواه مسلم)

ونهى النبي عن الإطراء والمدح المفرط فيه .

سمع النبي ﷺ رَجلاً يُثنَي على رَجُلٍ ويُطرِيهِ فَقال النبي ﷺ : " أَهلَكتُم أَو قَطَعتُم ظَهَر الرَّجُل " (رواه البخاري)

" قطعتم ظهر الرجل " أي أثقلتموه بالإثم، لأنه ربما حمله إطراؤهم له على العجب والكبر، وسلك سبيل المتكبرين، فيقع في الإثم الكبير الذي يقطع الظهر.

والرياء من الأمراض الخطيرة التي تدمر المجتمع فلا عمل يعمل لوجه الله تعالى وإنما للتظاهر به من أجل المصلحة ، ولا يكاد أحد يتولى منصباً حتى تنهال عليه التهاني والهدايا ممن يعرف وممن لا يعرف رياء من أجل الاستفادة من منصبه في قضاء مصالحهم الدنيوية ، وبكثرة الرياء للرؤساء يستمرئونه ويصدقون أنفسهم أنهم عباقرة ولم تنجب الأرض أمثالهم فتأخذهم العزة بالإثم ويتكبرون على الحق فيفسدون .وإن أرادوا أن يولوا المناصب فهي من نصيب من راؤهم لا لذوى الكفاءات من المخلصين الذين يترفعون عن التملق والرياء .

الحسد

الحسد تمنى زوال النعمة . والإنسان دائماً طماع لا يرضى بما قسمه الله له إنما هو دائماً يتمنى المزيد وينظر إلى ما في يد الآخرين لذا يحذرنا الله تعالى من تمنى زوال نعمة الله التي أنعم بها على عباده ويعلمنا أن نسأله تعالى أن يرزقنا من هذه النعم دون تمنى زوالها عن أصحابها .

{ وَلاَ تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ اللّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُواْ اللّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا }
(النساء : ٣٢)

قال العلماء: الحسد قسمان: حقيقي ومجازي، فالحقيقي تمنى زوال النعمة عن صاحبها، وهذا حرام بإجماع الأمة مع النصوص الصحيحة، وأما المجازى فهو الغبطة وهو أن يتمنى مثل النعمة التي على غيره من غير زوالها عن صاحبها، فإن كانت من أمور الدنيا كانت مباحة، وإن كانت طاعة فهي مستحبة. والمراد بالحسد في هذا الحديث " لا حَسَدَ إلا على اثْنَتَيْنِ : رجلٌ آتَاهُ اللَّهُ القرآنَ فقام به آناء اللَّيل وَآنَاءَ النَّهارِ ورجلٌ أعْطاهُ اللَّهُ مالا ، فَهوَ يُنْفِقهُ آنَاءَ اللَّيلِ وآناءَ النَّهارِ "(متفق عليه)

الحسد هنا معناه المجازى أي لا غبطة محبوبة إلا في هاتين الخصلتين وما في معناهما .[١]

إن أول جريمة قتل على الأرض كانت بسبب الحسد إذ حسد قابل أخاه هابيل أنْ تقبل الله القربان من أخيه ولم يتقبله منه هو فقتله حسدا من عند نفسه .

{ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَىْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ لَئِن بَسَطتَ إِلَىَ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِى إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّى أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ إِنِّى أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ } (المائدة : ٢٧ – ٣٠)

والحسد لن يعود على صاحبه بنفع بل يأكل حسناته .

" الْحَسَدُ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ وَالصَّلاَةُ نُورُ الْمُؤْمِنِ وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ مِنَ النَّارِ "
(رواه أبو داود وابن ماجه)

ولقد حذرنا النبي ﷺ من الحسد فإنه مفسدة للدين .

أَنّ النبي ﷺ قالَ: " دَبّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمْ : الْحَسَدُ وَالبَغْضَاءُ هى الْحَالِقَةُ ، لا أَقُولُ تَحْلِقُ الشّعْرَ وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدّينَ، وَالذي نَفْسِى بِيَدِهِ لا تَدْخُلُوا الْجَنّةَ حَتّى تُؤْمِنُوا،

(١) المباركفورى " تحفة الأحوزى " باب ما جاء في الحسد .

ولا تُؤْمِنُوا حَتّفي تَحَابّوا، أَفَلاَ أُنَبّئُكُمْ بِمَا يُثَبّتُ ذَلِكَ لَكمْ: أَفْشُوا السّلاَمَ بَيْـنَكُمْ " (رواه أبو داود والترمذى) ومعنى " تحلق الدين " أنها لا تُبقى شيئاً من الحسنات حتى تذهب بها .

إن الحسد مرض يصيب القلب فيمزقه ويفرى الكبد ويحرقه وعلى كل إنسان أن يتحصن بذكر الله وقرباته فلن يفلح معه حسد بل يُرَد كيد الحاسد إلى نحره .

وقديماً قال ابن المعتز

اصبرْ على كيدِ الحسودِ الحسود فإن صَبْرَكَ قاتلهْ
فالنارُ تأكلُ بعضَها إن لم تَجِدْ ما تأكلُهْ

واعلم أن دواء الحسد الذي يزيله عن القلب معرفة الحاسد أنه لا يضر بحسده المحسود في الدين ولا في الدنيا وأنه يعود وبال حسده عليه في الدارين إذ لا تزول نعمة بحسد قط ، وإلا لم تبق لله نعمة على أحد حتى نعمة الإيمان لأن الكفار يحبون زواله عن المؤمنين؛ بل المحسود يتمتع بحسنات الحاسد لأنه مظلوم من جهة، سيما إذا أطلق لسانه بالانتقاص والغيبة وهتك الستر وغيرها من أنواع الإيذاء، فيلقى الله مفلساً من الحسنات محروماً من نعمة الآخرة، كما حرم من نعمة سلامة الصدر وسكون القلب والاطمئنان في الدنيا، فإذا تأمل العاقل هذا عرف أنه جرّ لنفسه بالحسد كل غم ونكد في الدنيا والآخرة (١)

والحسد من الأمراض التي كثرت في الآونة الأخيرة فلا يتولى أحد منصباً إلا وقيل أنه من المحاسيب ، ولا تكاد تظهر نعمة على إنسان إلا واتهم بالرشوة والفساد ، ولا اغتنى رجل أعمال إلا وقيل أنه لص أو تاجر مخدرات ، وربما الدافع وراء هذا الحسد وإلقاء التهم من غير دليل كثرة المفاسد في المجتمع لدرجة أصبح الغنى متهماً – في نظر الناس – حتى تثبت براءته .

حب الرياسة والجاه

حب الرياسة والجاه من الأمراض المستوطنة في مرضى القلوب ولقد ابتليت مصر ببعض الأغنياء الذين جمعوا أموالهم من تجارة المخدرات وتجارة السلاح

(١) الصنعاني " سبل السلام " ج ٤ ص ١٨٢

ومن احتكار وأكل الناس بالباطل ، فلم يكتف هؤلاء بما جمعوا من أموال بل راحوا يزاحمون السياسيين ميدان السياسة ، وراحوا ينفقون الآلاف بل الملايين من أجل الوصول إلى عضوية مجلسي الشعب أو الشورى ، أو مجلس المحافظة ، أو المجلس المحلى ، مع أنهم ليس لهم أدنى مؤهلات سياسية حتى الاستماع إلى نشرة الأخبار وقراءة الصحف ! ويدعون – كذباً – أنهم ما رشحوا أنفسهم إلا من أجل خدمة المواطنين ولو أرادوا خدمة المواطنين حقاً لأنفقوا أموالهم هذه في نفع أبناء دائرتهم إنما هو حب الرياسة والجاه، إلى جانب الرغبة في استثمار الحصانة البرلمانية في خدمة مصالحهم الخاصة .

إن كثيراً من أعضاء مجلسي الشعب والشورى عندنا إنما يختارون في – القرى والكفور – عن طريق العصبية القبلية ، وفي العاصمة والمدن عن طريق شراء أصوات الناخبين الفقراء والمنتفعين .

أعلمتم لماذا تسير الأحوال من سيئ لأسوأ ؟!

قال الإمام أبو حامد الغزالي: حب الرياسة والجاه من أمراض القلوب وهو من أضر غوائل النفس وبواطن مكائدها يبتلى به العلماء والعباد فيشمرون عن ساق الجد لسلوك طريق الآخرة فإنهم مهما قهروا أنفسهم وفطموها عن الشهوات وحملوها على العبادات عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة وطلبت الاستراحة إلى إظهار العلم والعمل فوجدت مخلصاً من مشقة المجاهدة إلى لذة القبول عند الخلق ولم تعتقد باطلاع الخالق فأحبت مدح الخلق لهم وإكرامهم وتقديمهم في المحافل فأصابت النفس بذلك أعظم اللذات وهو يظن أن حياته باللّه وبعبادته وإنما حياته الشهوة الخفية وقد أثبت اسمه عند اللّه من المنافقين وهو يظن أنه عنده من المقربين . (١)

وإن من شرع الإسلام أن طالب الولاية لا يولى لأنه في الغالب ما طلبها إلا عن حب للرياسة وهوى في نفسه أما الذي يولى هو ذو العلم والخبرة والصلاح والتقوى والزاهد في الوالية .

عن أبى موسى الأشعري قال : دخلت على النبي ﷺ أنا ورجلان من بنى عمى فقال أحدهما : يا رَسُول اللَّهِ أَمِّرْنا على بعض ما ولاك اللَّه عَزَّ وَجَلَّ ، وقال

(١) أبو حامد الغزالي " إحياء علوم الدين " ج٣ ص ٢٧٥

الآخر مثل ذلك فقال ﷺ : " إنا والله لا نولى هذا العمل أحداً سأله، أو أحداً حرص عليه " (مُتَّفَقٌ عَلَيهِ) .

والخلفاء الراشدون ما طلبوا الولاية إنما اختارهم كبار الصحابة ثم صدَّق الناس على هذا الترشيح بحرية كاملة وإليكم قصة بيعة أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

عن أنس قال: لما بويع أبو بكر في السقيفة وكان الغد جلس أبو بكر على المنبر، فقام عمر فتكلم قبل أبى بكر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال : .. إن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وثاني اثنين إذ هما في الغار فقوموا فبايعوه فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة بعد بيعة السقيفة، ثم تكلم أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال أما بعد أيها الناس، فإنى قد وُلِّيت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني . (١)

فكبار الصحابة قد بايعوا أبا بكر في السقيفة – دون رغبة منه – ثم أعلن عمر هذا الترشيح في المسجد فصدق المسلمون عليه .

أما خلافة عمر فقد رشح أبو بكر عمر – دون رغبة منه – ولم يكن عمر من أهل أبى بكر إنما كان أولى الناس بالخلافة بعده وبايع الناس عمر وصدَّقوا على ترشيح أبى بكر له .

فلما طُعَن عمر جعل الخلافة في ستة نفر مات النبي وهو عنهم راض ولم يجعل من بينهم ابنه عبد الله مع أنه لا يقل عنه تقوى وإيمان حتى لا يصير الحكم وراثيّاً ، واختار كبار الصحابة عثمان وبايعه المسلمون ، فلما قُتِل اختار المسلمون عليّاً بن أبى طالب .

وبعد على أصبح الحكم ملْكاً عضوضاً .

روى عن رسول اللّه ﷺ أنه قال: "الخلافة بعدى ثلاثون سنة، ثم تكون ملكاً عضوضاً " (أخرجه أحمد وأبو داود والترمذى والنسائي)

" ملكاً عضوضاً " أي يُصيبُ الرَّعيَّة فيه عسْفٌ وظُلْم، كأنَّهم يُعَضُّون فيه عَضًّا (٢)

---

(١) ابن كثير " السيرة النبوية " ج٤ ص ٤٩٣

(٢) ابن الأثير " النهاية في غريب الحديث " ج٣ ص ٤٩٤

والإسلام لا يشترط صورة بعينها لاختيار الحاكم ، المهم أن يُختار الأصلح وأن يبايعه غالبية الناس .

أما صورة اختيار الحكام في الوطن العربي ، قبل الربيع العربي ، فهي أبعد ما تكون عن الإسلام أو حتى عن الديمقراطية الغربية فمعظم حكام العرب جاءوا إلى الحكم إما عن طريق وراثته عن أسلافهم الغابرين أو بانقلابات عسكرية ، أما توريث الحكم فهو افتئات على حق الشعوب في اختيار الأصلح ، وأما الانقلابات العسكرية فقد أتت ببعض العسكر الذين لا خبرة لهم بشئون الحكم والسياسة فأفسدوا البلاد وجعلوا أعزة أهلها أذلة . وحكم صدام حسين والقذافي حافظ الأسد ونجله بشار وعبد الناصر ومبارك خير شاهد على ذلك .

ولقد جعل الله تعالى الجنة لمن لا يريد علوّاً في الأرض ولا يطمع في مناصب دنيوية لتحقيق مصالح شخصية .

يقول الله تعالى تعقيبا على قصة قارون .

{ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا في الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ } (القصص : ٨٣)

قال النبي ﷺ في تفسير العلو في الأرض والفساد في هذه الآية الكريمة : "التجبر في الأرض، والآخذ بغير الحق " (أخرجه المحاملى والديلمى)

فكم أولئك الذين تجبروا في الأرض وأخذوا السلطة بغير الحق من المسلمين!!

حب المال

حب المال غريزة متأصلة في الإنسان يولد بها ويشيب عليها إلا من رحم الله

{ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا } (الكهف : ٤٦)

عَنْ أَنَس بْنِ مَالك رَضِي اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : " يَكْبَرُ ابْنُ آدَمَ وَيَكْبَرُ مَعَهُ اثْنَانِ حُبُّ الْمَالِ وَطُولُ الْعُمُرِ " (رواه البخاري)

فالإنسان من طبيعته حب المال بل الحب الشديد للمال لا يقنع منه بالقليل ولا يكتفي منه بالكثير ولا يكف عن طلبه ولا يشبع منه مهما كثر .

{ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا } (الفجر : ٢٠)

ورَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ " لَوْ أَنَّ لابْنِ آدَمَ مِثْلَ وَادٍ مَالاً لأَحَبَّ أَنَّ لَهُ إِلَيْهِ مِثْلَهُ وَلا يَمْلأُ عَيْنَ ابْنِ آدَمَ إِلاَّ التُّرَابُ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ " (رواه البخاري)

والمؤمن من يجاهد حب المال بالإكثار من الصدقة وبذل المال في وجوه البر حتى يكون من الأبرار .

{ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ } (البقرة : ١٧٧)

فالصدقة حجة ودليل قوى إلى إيمان المسلم وحبه لربه ورغبته في ثوابه فإن النفس مجبولة على حب المال، والشيطان يعد الإنسان الفقر ويزين له الشح والنفس تساعده ، فمخالفة النفس والشيطان من أقوى البراهين على حب الرحمن.(١)

قالَ رَسُولُ الله ﷺ : "الوُضُوءُ شَطْرُ الإيمانِ، وَالْحَمْدُ لله تَمْلأُ الميزَانَ، وسُبْحَانَ الله والْحَمْدُ لله تَمْلآنِ أَوْ تَمْلأُ مَا بَيْنَ السّمَاوَاتِ والأرْضِ، والصّلاَةُ نُورٌ، وَالصّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالقُرْآنُ حُجّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ كُلّ النّاسِ يَغْدُو، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا " (رواه أحمد والنسائى وابن ماجة وابن حبان)

ولقد وصف الله تعالى من يبرأ من البخل والشح ويروض نفسه على الإنفاق في سبيل الله بالفلاح .

(وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (التغابن : ١٦)

والبخل مذموم في الشرع الحكيم بل مهلك صاحبه .

{ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا } (النساء : ٣٧)

والمال في الإسلام مال الله وما الإنسان إلا مستخلف فيه .

{ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ } (الحديد : ٧)

ولقد توعد الله تعالى من يبخلون بمال الله على عباده بالعذاب الشديد .

---

(١) الإمام المناوي " فيض القدير ". ج١ ص ٦٢٠

{ وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ } (آل عمران : ١٨٠)

وفي تفسير قوله تعالى : " سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " قال البخاري: عن أبي هُريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "مَنْ آتَاهُ اللهُ مَالا فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ له شُجَاعًا أقرعَ له زبيبتان، يُطَوّقُه يوم القيامة، يأخذ بلهْزِمَتَيْه -يعني بشدقَيْه-يقول: أنا مَالُك، أنا كَنزك" ثم تلا هذه الآية: { وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ } .

كما توعد الحق جل وعلا من يكنز الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله بالعذاب الأليم وبان يحمى بما كنز في نار جهنم .

{ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا في سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا في نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَـذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ } (التوبة : ٣٥)

ومن الناس من يظن أن كثرة المال نعمة وأن قلته نقمة وبين الله تعالى أن الله يبتلى بالخير والشر فتنة وليس الغنى نعمة كما أن الفقر ليس نقمة وإلا ما كان الله جعل نبيه ومصطفاه مسكيناً .

{ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ }
(الأنبياء : ٣٥)

{ فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ كَلاَّ بَل لاَّ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ } (الفجر : ١٥– ١٧)

وإن من الناس من لا يسال الله تعالى إلا المال ويظن أن الغنى سعادة وفلاح ويعاهد الله على صرف المال في مصارفه الشرعية ، ويضرب لنا الحق جل وعلا مثالا لهؤلاء فيقول :

{ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ فلما آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُواْ بِهِ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا في قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُواْ اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ } (التوبة : ٧٥– ٧٧)

ورغم وعيد الله تعالى للبخلاء ، وتهديده الشديد للكانزين إلا أن أغنياء المسلمين بعدما أفاض الله عليهم من نعيم ، وفجر آبار البترول في بلادهم أودعوا أموالهم بنوك أوربا وأمريكا ليحاربونا به بدلاً من استثماره في البلاد العربية والإسلامية ! إن هؤلاء الأغنياء المقترين ضعاف العقل والدين ظنوا أن الثروات الطبيعية التي مَنَّ الله عليهم بها حقاً مكتسباً ، وأنهم أوتوه على علم عندهم كما قال قارون إنما أوتيته على علم عندي ، ونسوا أو تناسوا أن المال مال الله وما هم إلا أمناء عليه ، ويوم القيامة الله سيسألهم عن هذه الأمانة أدوها أم ضيعوها .

{ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لاَ تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْفَرِحِينَ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ } (القصص : ٧٦ – ٧٨)

فأهلك الله أموال هؤلاء المسلمين الكانزين المترفين فاستولى عليها أعداؤهم وأعداء الإسلام وغزو بها بلادهم وبلاد الإسلام ، وساموهم سوء العذاب يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم وفي ذلك بلاء من ربك عظيم، لعلهم يرجعون إلى الله ، وبدلاً من صرف هذه الأموال على موائد القمار وعلى الراقصات ، والفاجرات يستثمرونها في البلاد العربية ويغنون فقراء المسلمين عن السؤال ومد يدهم لأعدائهم .

إن الدراسات الاقتصادية تقول : لو أن أغنياء المسلمين أدُّوا فقط زكاة أموالهم ما كان هناك فقير في الوطن العربي لكن أحدهم لينفق الملايين لوجه الشيطان ولا ينفق الملاليم لوجه الله تعالى ، وإن أنفق أبطل صدقته بالمن والأذى ، لقد ضحت مصر في سبيل الوطن العربي بثرواتها ودماء أبنائها ولما مدَّ العرب أيدهم إليها بالمساعدة مدُّوا مع أيدهم ألسنة حِرَاب بالمن والأذى مع أن ما هم فيه من نعيم كان بسبب مصر فبعد حرب العاشر من رمضان ارتفع ثمن برميل النفط من خمسة إلى ثلاثين دولاراً ، وليتهم اكتفوا بالمن والأذى لكن طالبونا بكل الأموال التي ساعدونا بها مضيفين إليها الفوائد أيضاً وبالفعل قامت مصر بتسديدها إليهم !!

لماذا تقدم الغرب وتخلفنا :

لقد تقدم الغرب لأنهم أخذوا في أسباب العلم والتفكير العلمي وشجعوا البحث والتجريب وتحرروا من عبادة القديم والتقليد ولم يستسلموا للأفكار الشائعة بل عملوا بجد وإخلاص لإيجاد حلول جديدة و أتاحوا الفرصة لمفكريهم ومبدعيهم أن يقودوا الركب ، وحاربوا الجهل والتخلف والتقليد ، وجعلوا مقياس الترقي فيهم للمبدعين المبتكرين الذين يحسنون استخدام عقولهم ، وصرفوا مبالغ طائلة على المخترعات والابتكارات والاكتشافات وكافئوا المتميزين وقدروهم وحثوهم على مواصلة البحث والتجريب ، وذللوا أمامهم كل العقبات ووضعوا كل إمكانياتهم في خدمتهم .

إن أمريكا لتنفق على البحث العلمي ٢,٥ % من ميزانيتها ، أما إسرائيل فتنفق ٣% من ميزانيتها على البحث العلمي وهما أكبر دواتين تنفقان على البحوث العلمية، فكم ننفق نحن ؟! ويجبك المهتمون بالبحث العلمي في مصر قائلين :

رغم كل ما يقال عن أهمية دفع البحث العلمي في الجامعات المصرية إلا أن دفع العجلة يتم تقريبا بالزق ، وكأن البحث العلمي قد احتل المرتبة الدنيا في سلم أوليات الإنفاق الجامعي فالموارد البحثية شحيحة للغاية وتمويل الجامعات المصرية للبحث العلمي غير موجود بأي مقياس حقيقي ، والبحث العلمي الذي يعد أحد أهم وظائف الجامعات لا يحظى إلا بالدعم الكلامي فقط الذي لا يرقى إلى مستوى الفعل. (١)

لذا كان من الطبيعي أن يتقدموا ويبسطوا نفوذهم علينا خاصة أنهم لا يكتفون بإعطاء الفرصة لأفراد شعوبهم لكي يبتكروا ويبدعوا ويساهموا في تقدمهم ورقيهم بل استقطبوا العقول النابهة من كل بلاد العالم وخاصة البلاد المتخلفة وييسروا لهم جميع السبل وهيئوا لهم جميع الظروف ليبدعوا ويبتكروا فأبدعوا وابتكروا وأتوا بالابتكارات مع أن هؤلاء الأشخاص كانوا في بلادهم طاقات معطلة ، وكمٌّ مهمل ، وهذا سر تقدم الغرب وتخلف العرب .

إن الغرب أحسن تعليم أبنائه فنمى مواهبهم وفجر قدراتهم العقلية وشجع المفكرين والمتميزين ، وجعل مقياس الترقي هو الإبداع ، وشجع على التجريب والتجديد

---

(١) جريدة " الأخبار " المصرية بتاريخ ٨ / ٤ / ٢٠٠٤ .

وحارب التكرار والتقليد أما نحن فأسأنا تعليم أولادنا وقتلنا فيهم الإبداع والتفكير وشجعنا فيهم الحفظ والتقليد ، وجعلنا مقياس الترقي فينا هو اتباع التعليمات والروتين وحاربنا التجريب والتجديد حتى أصبح التعليم عندنا شعاره بقدر ما تحفظ من الملازم والملخصات تحصل على أعلى الدرجات ! وبقدر ما تُعْمل عقلك وتبدع يكون حظك من الفشل والإخفاق ! ، أما في مجال العمل حكومي فبقدر ما تتمسك بالروتين وتنافق المسئولين تترقى وتكون من المرموقين !

فإذا تركنا نظام التعليم وذهبنا إلى مجال الثقافة والفن فإننا نجده يدعم الفساد ويثير الغرائز ويغرى بالانحلال فإذا جئنا إلى مجال الدعوة الدينية فإن وعاظنا يدعمون قيم التقليد والإتباع للقديم ويحذرون من التجديد والإبداع ؛ فالسلف لم يترك للخلف شيئا يضيفونه في مجال الدين والدنيا ، وباب الاجتهاد قد أغلق بالضبة والمفتاح والخير كل الخير في اتباع القديم والشر كل الشر في الإبداع والتجديد !!

هل عرفنا لماذا تقدم غيرنا وتخلفنا ؟

ولا يكف وعاظنا عن رمى الغرب بالمعاصي والفجور وحمد الله على ما هم فيه من تقوى وإيمان مع أن معاصي الغرب لم تقف ضد تقدمهم ، وإيمانهم المزعوم عرقل تقدمنا ، والحقيقة أننا لم نبصر إلا معاصي الجوارح عند غيرنا وعمينا عن معاصي القلوب فينا .

أنواع المعاصي

المعاصي نوعان : معاصي قلوب ومعاصي جوارح . معاصي القلوب كما بينا هي : النفاق والرياء وحب الرياسة ... ومعاصي الجوارح أشهرها الزنا وشرب الخمر ، ومعاصي القلوب أشد فتكاً بالمجتمع من معاصي الجوارح وهذا هو السر في تخلفنا وتقدم الغربيين لقد تفشت فينا أمراض القلوب فانتشر فينا النفاق فلا يوجد مرءوس إلا وينافق رئيسه أما الكذب فلا يكاد يسلم منه أحد – إلا من رحم ربي – فالناس تكذب بمناسبة وبدون مناسبة ، مضطرة وغير مضطرة لدرجة أنك إذا أردت إن تستوثق من كلام شخص فما عليك إلا أن تستحلفه بكل عزيز عليه تستحلفه بالأحياء والأموات بالقرآن والإنجيل وبرحمة أبيه وأمه ، وتهدده إن كان كاذباً بالدعاء عليه بالعمى أو يفرمه قطار أو ... لماذا كل هذا ؟ حتى تضمن أن

يصدقك القول !! أ أريتم الحال التي وصلنا إليه لا يكاد احد يقول الصدق وإن قاله لا يكاد أحد يصدقه !! أما أمراض مثل : الإهمال ، والمحسوبية ، والواسطة ، وعدم إتقان العمل ، والسلبية ، والتواكل ... فحدث ولا حرج والعجيب أننا نسأل لماذا تقدم غيرنا وتخلفنا ؟!

والحقيقة إن الغرب لم تتفش فيهم أمراض القلوب كما تفشت فينا نحن المسلمين! فهم يقدسون العمل ، ويقولون الصدق ولا يكذبون – على العموم – ولا ينافق المرءوس رئيسه بل يراجعه إن أخطأ ويشكوه لرئيسه إن قصَّر ، وهم يتقنون إعمالهم حباً في الإتقان وليس سمعة ورياء ... لذا تقدموا وتخلفنا .

نعم كثير منهم يرتكبون بعض معاصي الجوارح كالزنا وشرب الخمر لكن هذه المعاصي – في الغالب – لا تؤثر على عملهم فلا يمارسونها إلا في أوقات فراغهم وأجازاتهم ، أما عندما تدق ساعة العمل فالكل يعمل بإخلاص ونظام وتعاون ملفت للنظر لذا تقدموا وتخلفنا .

لقد قدسوا النظام واحترموا القوانين وأدمنوا النظافة والجمال وعبثنا نحن بكل هذا استهنا بالقوانين وأدمنا الفوضى واللامبالاة والسلبية والقبح والفساد !!

ولنذهب في رحلة إلى أمريكا لنرى لماذا تقدموا وتخلفنا يصحبنا في هذه الرحلة الصحفي عادل حمودة في كتابه " أمريكا الجنة والنار " نام الصحفي في الطائرة ولم يشاهد فيلمًا كان يعرض على الركاب وإذا بالمضيفة تعيد له ثلاث دولارات من ثمن تذكرة الطائرة لأنه لم يشاهد الفيلم وعندما أظهر عجبه من هذا التصرف قالت له : " كيف تدفع ثمن خدمة لم تحصل عليها ؟ " سؤال غريب فوجئت به .. سؤال غريب بالنسبة لي ، وربما بالنسبة لغيري من ملايين المصريين .. فنحن دائماً ندفع ثمن خدمات لا نحصل عليها .. ندفع ضرائب لا نشعر بعائدها : أدفع دعماً لصندوق معاشات ضباط الشرطة وأتعرض لإهاناتهم عند استخراج رخصة السيارة، وعند تجديد بطاقتي الشخصية وعند دخول قسم البوليس شاكياً أو صاحب حق .. أدفع ضرائب للطرق على كل لتر بنزين تستهلكه سيارتي ولا أجد سوى المطبات والحفر في الشوارع .. أدفع رسوم النظافة ولا أرى سوى التراب وأكوام القمامة .. أدفع ثلث دخلي ضرائب مهن حرة ولا أجد سريراً في مستشفي ولا ابتسامة في مكتب ولا سلعة في مجمع استهلاكي !

رأيت الرئيس نيكسون وهو يبكى في إحدى محطات التليفزيون بمدينة واشنطون وهو يسجل حواراً بمناسبة مرور ١٠ سنوات على أشهر فضائحه وأشهر الفضائح الأمريكية .. " ووترجيت " كان نيكسون تتساقط منه حبات العرق وحبات الخجل وقطرات الحياء والكسوف .

–سيدي الرئيس : هل أنت تشعر بالندم على فضيحتك في ووترجيت .

–نعم !

– هل أنت مذنب ؟

– نعم !

– هل تشعر أحياناً باحتقار نفسك بسبب هذه الجريمة الفظيعة التي ارتكبتها في حق الحرية ؟

– نعم !

– هل مسحتَ كل حسناتك بهذه الخطيئة ؟

– نعم !

لم يكن نيكسون يملك سوى أن يجيب بكلمة واحدة : نعم ! كانت كل إجاباته ذليلة .. مسكينة .. منكسرة.. وضعيفة .... ماذا فعل لينال كل هذا العقاب ؟

تجسس وتصنت .. زرع ميكرفونات في أحد مباني الحزب المنافس له .. هل هذه جرائم تستحق العقاب ؟ هل هذه جرائم تستحق طرد " الحاكم " ؟!

لا أعتقد أن هذه الجرائم تستحق حتى الإشارة إليها خاصة إذا كان الذي يناقشها مواطن قادم من الشرق الأوسط أو من العالم الثالث أو من المنطقة العربية ففي الشرق الأوسط ، انتهاك واغتصاب حقوق الإنسان أسهل من شرب زجاجة مياه غازية . وفي المنطقة العربية سجون سياسية ، قُتِل وعُذِب فيها مئات من البشر لأنهم قالوا : لا .. وتهم لفقت لرجال تجرءوا وخرجوا عن النص الحكومي أو شخبطوا بالطباشير على جدران الحكام وكلاب مسعورة متوحشة نهشت بأسنانها وأنيابها لحم كتاب وصحافيين مزقوا وثيقة زواجهم من السلطة ومارسوا الحرية .. كل هذا يحدث ومازال يحدث دون أن يسقط حاكم واحد ولا أن يعاقب موظف واحد ولا أن يحال ضابط واحد إلى المعاش ..

أمريكا كلها تتحدث عن ووترجيت وكأنه حادث لا يزال طازجاً وكأنه وقع من عشر ساعات لا منذ عشر سنوات .. لماذا كل هذه الضجة ؟ يقولون : حتى لا ننسى الكارثة التي سنقع فيها .. لا بد لأي مجتمع يتطلع إلى المستقبل من ذاكرة قوية ونشطة تذكره بعيوب الماضي .. الذاكرة القوية كالسيف الحاد ، يجب أن توضع على رقبة المجتمع حتى لا يكرر فضائحه وخطاياه .

صدقني لو قلت لك إن بعض رجال حزب الرئيس نيكسون كانوا وراء الإبلاغ عنه ليس بسبب صراع شخصي على العكس كانوا أصدقاء له وكانوا من المستفيدين من استمراره وإنما لأن الجريمة هنا تمس المجتمع كله وتهدد النظام السياسي كله لأن الجريمة أكبر من أن يستوعبها التعصب للحزب أو الدفاع عن رئيس .. الجريمة هنا جريمة قومية .. جريمة ضد الحرية ..

لو كنت مكاني وسمعت هذا الكلام لخطر على بالك فورا أولئك الذين يرفضون أن نفتح ملفات التاريخ في بلادنا إنهم تحت دعوى نبش الماضي يريدون التستر على جرائم ارتكبت في حقنا جميعا .. وتحت شعار النظر إلى المستقبل يريدون منا أن ننسى ما جرى لنا .. والشعوب التي تنسى ما مضى عليها أن تنسى أيضا ما يمكن أن يحدث لها الآن وغدا وقبل قيام الساعة بساعة .. " (١).

الإسراف والترف والبطر :

ومن أمراضنا التي دمرت مجتمعاتنا الإسراف والترف والبطر ، والإسراف والترف والبطر أمراض قديمة لكنها زادت في العقدين الأخيرين فهناك إسراف كبير في الترف وبطر النعم يسيطر على أمتنا العربية فالكماليات أضحت ضروريات والترفيهات صارت أساسيات ، فمثلاً : في مجال الأكل – وسبق الحديث على اقتناء الأجهزة الكهربائية – وهو مما لا يستغنى عنه إنسان تجد الناس – وخاصة الأطفال والشباب – قد بطروا طعام المنزل وأسرفوا في الأكل خارجه في محلات أجنبية أو مصرية تبيع الوجبات الجاهزة وغيرها من الأطعمة الدخيلة على مجتمعنا العربي الإسلامي وتلك الأطعمة لا تسمن ولا تغنى من جوع إنما ذات خطورة شديدة على الصحة واقتصاد الأسرة وكل يوم نسمع عن حالات تسمم بسبب هذه المأكولات غير الآمنة صحيّاً بل المؤكد ضررها لكنه الإسراف والترف والبطر.

---

(١) عادل حمودة " أمريكا الجنة والنار " ص٣٤ : ٥٤ بتصرف .

ومن لا يأكل في هذه المحلات فحتماً يشترى أكياس البطاطس المحمرة والمشروبات الغازية وغير ذلك من الأطعمة المغلفة أو المشروبات المعلبة .

إن نظرة سريعة لنفقات طلاب المدارس والجامعات على هذه المأكولات والمشروبات – غالية الثمن ضارة التأثير – لتثبت بجلاء مدى الإسراف في الترف وبطر النعم الذي وصلنا إليه .

كان الطلاب قديما يأكلون ما تعده لهم الأمهات من أطعمة صحية – كالجبن والبيض والفول المدمس – ولا يأخذون من المصاريف إلا ما يشترون به لوازم الدراسة أو المواصلات وهذه الأجيال هي التي حررت مصر وبنت حضارتها ، أما اليوم فإن طعام البيت لا يؤكل رغم فائدته وخلوه من المواد الحافظ المهلكة ومن الفساد الناتج عن تحلل المواد العضوية في الأطعمة الجاهزة ، وإنما الذي يأكله هؤلاء الأطفال والشباب هو ما يشترونه من أطعمة ومشروبات تكلفهم الكثير من الجنيهات في شرائها ، والكثير من الجنيهات في العلاج منها !!

إن الناظر إلى هؤلاء الشباب ليخيل إليه أن هذه الأمة غنية إلى درجة كبيرة تسمح لها بهذا الترف والإسراف ، والحقيقة المؤلمة أن هذه الأمة فقيرة معدمة لا يوجد فيها من لا يشكو من الفاقة والفقر والمرض !!

إن الله تعالى جعل ترف الأمم سبباً لهلاكها ونذيراً لدمارها

{وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا } (الإسراء : ١٦)

وقرأ عليٌّ رضي الله عنه " أَمَّرْنَا " بالتشديد أي سلطنا شرارها فعصوا فيها، فإذا فعلوا ذلك أهلكناهم ، وقيل " أمرنا " أي أكثرنا من المترفين المنعمين قال أبو عبيد: وإنما اخترنا "أمرنا" لأن المعاني الثلاثة تجتمع فيها من الأمر والإمارة والكثرة. والمترف: المنعم؛ وخصوا بالأمر لأن غيرهم تبع لهم . (١)

{ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ } (هود : ١٦)

"ما أترفوا فيه" أي من الاشتغال بالمال واللذات، وإيثار ذلك على الآخرة .

(١) تفسير القرطبي ج١٠ ص ٢٣٤ .

لقد توعد الله تعالى المترفين بالفقر والجوع وها نحن نشهد كل يوم الحالة الاقتصادية تسير من سيء لأسوأ بسبب إهمال العمل البنَّاء ، وانتشار الكسل والاسترخاء ، وبسبب الإسراف في الترف وبطر النعم الذي عمَّ الناس .

{ حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ } (المؤمنون : ٦٤)

" إذا هم يجأرون " أي يضجون ويستغيثون. وأصل الجؤار رفع الصوت بالتضرع كما يفعل الثور .

هذا عن عذابهم في الدنيا فإما عذابهم في الآخرة فيجعلهم الله تعالى في سموم وحميم .

{ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ في سَمُومٍ وَحَمِيمٍ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ لاَّ بَارِدٍ وَلاَ كَرِيمٍ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ } (الواقعة : ٤١ – ٤٥) .

وذكر لنا الله تعالى أن بطر النعمة كان سبباً في هلاك قرى كثيرة ما بقيت منهم إلا الأطلال .

{ وَكَمْ أَهْلَكْنَا من قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ } (القصص : ٨٥)

أي طغت وكفرت نعمة اللّه فيما أنعم به عليهم من الأرزاق .

ولقد وصف الله تعالى المبذرين بأنهم أخوان الشياطين في التبذير والسفه ومعصية الله ، والتبذير لا يكون بكثرة الإنفاق إنما التبذير يكون بإنفاقه في غير الحق فربما صرف رجل الآلاف ولا يعد مسرفاً لأنه صرفها في منفعة لا بد منها ، وقد يعد مبذراً بإنفاقه اليسير في شراء شر لا خير فيه .

{ وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا } (الإسراء : ٢٦ – ٢٧)

قال ابن مسعود: التبذير : الإنفاق في غير حق، وكذا قال ابن عباس ، وقال مجاهد: لو أنفق إنسان ماله في الحق لم يكن مبذراً، ولو أنفق مداً في غير حق كان مبذراً .[١]

(١) تفسير ابن كثير ج٥ ص ٦٩ .

وليس معنى هذا إن يقتر الإنسان على نفسه وأولاده إنما معناه أن يحسن التصرف فيما عنده من نعم ويعتدل في الإنفاق فإنه مسئول عن ماله " مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ ؟ " حديث صحيح (رواه الترمذى)

وميزان العدل الذي يجب أن يزن به الإنسان إنفاقه هو قوله تعالى :
{ وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا}
(الإسراء : ٢٩)

إننا نستهلك أضعاف ما ننتج ، ونرمى في القمامة أضعاف ما نأكل ، ونبطر النعم أضعاف ما نشكر ، ونطلب من الأجر أضعاف ما نستحق ، ونضيع الوقت في الملاهي أضعاف ما نعمل !

أعرفتم لماذا تقدم الغرب وتخلفنا . أرجو أن نعى الدرس جيداً وأن نتدارك ما فاتنا .

إذا سألت الموظف : لماذا ترتشي ؟ وإذا سالت العامل لم تهمل ؟ وإذا سالت الفلاح لم هجرت أرضك وسافرت ؟ وإذا سالت التاجر لم تغش ؟ فإن الإجابة تكاد تكون واحدة وهى : لأن ما نحصل عليه من أجر لا يفي بحاجاتنا وحاجة أولادنا ، وإن كان الحلال يكفي ما مددنا أيدينا للحرام فنحن عبيد لقمة العيش نطلبها حيث وجدناها مغموسة بالحلال أو بالحرام .

وهؤلاء الناس فعلاً عبيد لغير الله عبيد للدرهم والدينار استعبدهم المال فعبدوه ولم يكتفوا بالحلال وهو – بحمد الله – كاف ومتيسر لكن نفوسهم الجشعة وقلوبهم المريضة تطلب المزيد " لو كان لابنِ آدمَ واديانِ من مالٍ لا بْتَغَى وادياً ثالثاً ، ولا يَمْلأُ جَوْفَ ابن آدمَ إلا الترابُ " (أخرجه مسلم).

يقول النبي ﷺ في هؤلاء " تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ (من أنواع الثياب) إِنْ أُعْطِىَ رَضِىَ وَإِنْ مُنِعَ سَخِطَ تَعِسَ وَانْتَكَسَ " (رَوَاهُ الْبُخَارِى)

فإن قنع هؤلاء أدعياء الفقر بالحلال واستغنوا به عن الحرام وأخلصوا عملهم وطلبوا من الله أجرهم بارك الله لهم في أموالهم وحفظ لهم أزواجهم وعيالهم ، ووقاه الله شر الأمراض ، وشر استغلال المستغلين .

لكن معظم هؤلاء كعبد السوء الذي لا يعمل إلا إذا أخذ ولا يقسط إلا إذا استوفي وكأنه ليس وراء الدنيا آخرة وليس بعد الموت حساب !

أعلمتم لماذا تقدم غيرنا وتخلفنا ؟ لأننا أصبحنا كعبيد السوء لا نعمل لله بل للدرهم والدينار والخميصة والقطيفة كثير منا اتخذوا الدنيا إلهاً فاتخذتهم عبيداً ، ونسوا الله فأنساهم أنفسهم ، واستغلوا الناسَ فاستغلهم الناسُ ، سَرَقوا فَسُرِقوا ، قبلوا الرشوة فأجبروا على دفع أضعافها .

الحب بين الرجل والمرأة

لقد أكثر الناس الحديث عن هذا النوع من الحب حتى أصبح إذا ذكر لفظ الحب انصرف إلى هذا النوع دون سواه وليس هذا الأمر بالجديد المستحدث إنما هو قديم قدم البشرية ، وإن كان يكثر الحديث عنه عندما يكثر الاختلاط بين الجنسين ، وعند فراغ القلب مما يشغله من عظيم الأمور ، وعند فراغ الإنسان من تحصيل حاجاته الإنسانية : من طعام ، وشراب ، وأمان ، وراحة ، وصحة ..

ألا ترى أن العاشق – عادة – إذا كان جائعاً ، أو ظمآن ، أو خائفاً ، أو مريضاً، أو مهموماً ، أو مشغولاً بعمل مهم .. فإنه لا يفكر إلا في طعامه وشرابه وراحته ، وصحته ، وعمله . فإن طَعِم ، وشرب ، وبرئ ، واستراح ، وأنهى عمله فكر في محبوبه .

وإن كان هناك من ابتلاه الله تعالى بحب مَلَكَ عليه نفسه وشغله عما سواه .

فعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ : خيار أمتى الذين يعفون إذا أتاهم الله من البلاء شيئاً، قالوا: يا رسول الله وأي بلاء هو ؟ قال : العشق " (أخرجه الديلمي)

وعن ابن عباس أن النبي ﷺ بعث سرية فغنموا وفيهم رجل فقال : اللهم إنى لست منهم، عشقت امرأة فلحقتها، فدعونى أنظر إليها نظرة ثم اصنعوا بى ما بدا لكم. فنظروا فإذا امرأة طويلة أدماء .قالت نعم فديتك. فقدموه فضربوا عنقه، فجاءت المرأة فوقفت عليه فشهقت شهقة أو شهقتين ثم ماتت. فلما قدموا على رسول الله ﷺ أخبروه بذلك فقال رسول الله ﷺ : أما كان فيكم رجل رحيم ؟ " (رواه النسائي والبيهقى والطبراني)

لكن أمثال هذين قليلون لا يقاس عليهم فالحياة ليست كلها حب كما صور لنا الشعراء وصدقهم المراهقون ، والفارغون ، والغاوون فكثير من قول الشعراء مبالغ فيه وليس حقيقيّاً كما قيل (إن أعذب الشعر أكذبه) وفي ذلك يقول : جل وعلا :

{والشعراء يتبعهم الغـــاوون ، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون مـــا لا يفعلون، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعـــد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي نقلب ينقلبون } (الشعراء : ٢٢٤- ٢٢٧)

وشواهد المبالغات والشطحات الشعرية كثيرة .

كقول عنترة في الغزل :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل منى وبيض الهند تقطر من دمي

فوددت تقبيل السيوف لأنها لمعت كبارق ثغرك المتبســم

وكقول جميل ابن معمر :

أصلى فأبكى في الصلاة لذكرها لي لويل ممـــا يكتب الملـــكان

وكقول مجنون ليلى :

أراني ذا صـــليت يممت نحوها بوجهي إن كان المصلى ورائي

ويقول شوقي في مسرحية مجنون ليلى أن النار أحرقت يدي قيس وما شعر بهـــا حتى أغشى عليه لأن نار حبه لليلى أقوى وأشد !! :

ليلى : ويح قيـــــس تحرقت راحتاه و ما شعر

قيس : أنت أججت في الحشى لاعج الشوق فاستعر

ثم تخشـــــين جمرة تأكل الجلد والشعر

حبك الشيء يعمى ويصم

فحبك الدنيا يعميك ويصمك عن الآخرة فتعيش للدنيا عبداً ويجعل الله الفقـــر بـــين عينيك فلا تقنع ، وحبك هواك يعميك ويصمك عمن يخالفه فيضلك عن الحـــق فـــلا تهتدي ولا ترشد ، وحبك شخص يعميك ويصمك عن عيوبه فتصبح أســـيره ، أمـــا حبك الله تعالى فإنه يبصرك برؤية آيات الله في الكون ، ويسمعك نداء الحق القدسي الجميل ، ويشرح لك صدرك ، ويضع عنك وزرك ، وينير لك عقلك فتعيش ســـعيداً وتموت مطمئناً ،وترجع إلى ربك راضياً مرضيّاً فتدخل في عباده وتدخل جنته .

obeikandi.com

ويعرف ابن حزم الحب في مصنفه عنه " طوق الحمامة " فيقول : " الحب أوله هزل وآخره جد دقت معانيه لجلالتها أن توصف فلا تدرك حقيقتها إلا بالمعاناة وليس بمستنكر في الديانة ولا بمحظور في الشريعة إذ القلوب بيد الله عز وجل وقد أحب من الخلفاء المهديين ، والأئمة الراشدين كثير . " (١)

وعقد ابن حزم باباً لعلامات الحب ذكر فيه " وللحب علامات يفقهها الفَطِن ويهتدي إليها الذكي فأولها إدمان النظر فترى الناظر لا يطرف يتنقل بتنقل المحبوب وينزوي بانزوائه ويميل حيث مال ، ومنها الإقبال بالحديث فما يكاد يقبل على سوى محبوبه ، والإنصات لحديثه إذا حدّث ، وتصديقه وإن كذب ، وموافقته وإن ظلم ، والشهادة له وإن جار، واتباعه كيف سلك وأي وجه من الوجوه القول تناول ، ومنها الإسراع بالسير نحو المكان الذي يكون فيه ، والتعمد للقعود بقربه والدنو منه وإطراح الأشغال الموجبة للزوال عنه والاستهانة بكل خطب جليل داع لمفارقته ، ومنها روعة تبدو على المحب عند رؤية من يحب فجأة وطلوعه بغتة ، ومنها اضطراب يبدو على الحب عند رؤية من يشبه محبوبه أو عند سماع اسمه فجأة ، ومنها أن يجود المرء ببذل كل ما كان يقدر عليه مما كان يشح به قبل ذلك كأنه الموهوب له فكم بخيل جاد وجبان تشجع وغليظ الطبع تظّرف وجاهل تأدب وفقير تجمل ، وهذه العلامات تكون قبل استعار نار الحب وتأجج حريقه فأما إذا تمكن وأخذ مأخذه فحينئذ ترى الحديث سِراراً والإعراض عن كل من حَضر إلا عن المحبوب جهاراً ، ومن علاماته أنك تجد المحب يستدعى سماع اسم من يحب ويستلذ الكلام في أخباره ، ومن علاماته حب الوحدة والأنس بالانفراد ونحول الجسم ، والسهر من أعراض المحبين وقد أكثر الشعراء في وصفه وحكوا أنهم رعاة الكواكب ووصفوا طول الليل ، ومن علاماته أنك ترى المحب يحب أهل محبوبه وقرابته وخاصته حتى يكونوا أحظى لديه من أهله ونفسه ومن جميع خاصته ، والبكاء من علامات المحب ، ومن آياته مراعاة المحب لمحبوبه وحفظ لكل ما يقع منه وبحثه عن أخباره حتى لا يسقط عنه دقيقة ولا جليلة وتتبعه لحركاته . " (٢)

---

(١) ابن حزم الأندلسي " طوق الحمامة " ص ١١

(٢) نفسه من ص ٢٣ : ٣١ بتصرف .

وللحب مراتب كثيرة ذكرها العلماء يتدرج فيها المحبون .[1]

ولقد أصبح موضوع الحب هو المادة الرئيسية للأغـــاني ، والأفـــلام ، والأدب ، والفن عامة ، وكأنه لم يعد في الحياة سواه ، فهو الحياة ولا حياة بدونه ! ولقد أثَّـــر هذا الإلحاح العجيب في الحديث عن الحب على الشباب من الجنسين فلم يعد الشباب يفكر إلا في الحب وليس له طموح إلا لقاء من يحب !!

ولقد ساهم الفكر العفن المتشح بالعلم ، والعلم منه براء في تزكية نار الغريزة بين الجنسين بما أشاعوه من وجوب الاختلاط بين الجنسين بلا قيد ولا شرط ، والـــزعم أن ذلك يجنبهم العقد النفسية ، والكبت إلى غير ذلك من المصطلحات التـــي نقلهـــا كثير من علماء النفس دون تمحيص عن فرويد ذلك العالم النفسي الشهير والذي يعد إماماً لكثير من علماء النفس عندنا مع أنه هو نفسه مريض النفس ملتاث الفكـــر لا يعرف غير الجنس دافعاً للإنسان وكل الناس عنده مرضى نفسيون لديهم مركبـــات نقص ، وكل أعمال فرويد تحتاج لمراجعة وتصحيح فهي خرقاء هوجـــاء تنقـــصها الدقة العلمية ويغلب عليها التسرع " إن تطبيق مبادئ التحليل على كتابات فرويـــد عامة يبين لنا خوفه من الموت، وهو خوف صرح به في رسائله لخطيبته. في حين تبدى هذا الخوف في كتاباته بالتعجل والغزارة. وهى صفات تدمغ كتابات المـــؤلفين الخائفين من الموت. فهم يريدون كتابة ما لديهم بسرعة قبل أن يفاجئهم الموت. فإذا ما وجدوا متسعاً من الوقت قاموا بمراجعات قاسية لأعمالهم."[2]

إن تأثر كثير من الناس بآراء فرويد في التحليل النفسي ، وبـــالغرب فـــي الفـــن والأزياء ، والفكر التحرري الانحلالي جعل المجتمعات العربية مسخاً مـــشوهاً فـــلا هي مجتمع غربي بسلبياته وإيجابياته أي بانحلاله وتقدمه العلمي ، ولا هي مجتمـــع

---

(١) جاء في فقه اللغة للثعالبي عن الأئمة(أوَّل مَرَاتب الحُبِّ الهَوَى ثُمَّ العَلاَقَةُ وهي الحُبُّ اللاَّزِمُ للقَلْب ثُمَّ الكلفُ وهو شدَّة الحُبِّ ثُمَّ العشْقُ وهو اسْم لمَا فَضَلَ عَنِ المقْدَارِ الذي اسْمُهُ الحُبُّ ثُمَّ الشغَفُ وهو إِحْرَاق الحُبِّ القلْبَ مَعَ لَذَة يَجِدُها وكَذَلكَ اللَّوْعَة واللاَّعجُ ، فإنّ تلْكَ حُرْقَةُ الهَوَى ، وهذا هوَ الهَوَى المُحْرِقُ ثـــمَّ الشَّغفُ وهُوَ أنْ يَبْلُغَ الحُبُّ شغَافَ القَلْب ، وهى جِلْدَة دُوْنَهُ وقد قُرِئَتَا جَميعاً {شَغَفَهَا حُبّاً} وَشَغَفَهَا ثُمَّ الجَوَى وَهَـــوِ الهَوَى البَاطنَ ثُمَّ التَّيْمُ ، وهُوَ أنْ يَسْتَعْبِدَهُ الحُبُّ ، ومِنْهُ سُمِّى تَيْمُ اللّه أى عَبْدُ اللّه ، ومِنْهُ رَجُلٌ مُتَيم ثُمَّ التَّبْلُ وهُوَ أنْ يُسْقَمَهُ الهَوَى ومِنْهُ رَجُل مَتْبُول ثُمَ التّدْليهُ وهُوَ ذَهَابُ العَقْل منَ الهَوَى ، ومِنْهُ رَجُلٌ مُدَلَّهٌ ثُمَّ الهُيُومُ ، وهُوَ أنْ يَذْهَبَ عَلَى وَجْهِه لغَلَبَة الهَوَى عَلَيه ، ومِنْهُ رَجُل هَائم).

(٢) عن مركز الدراسات النفسية www.filnafs.com

عربي بتخلفه وقيمه الأخلاقية فقد أبقى على تخلفه وأخذ من الغرب انحلاله فجمع بين الأسوأين بدلاً من أن يجمع بين الحسنيين !!

ونحن لسنا ضد الحب العفيف ، ولا ضد الفنون الراقية المهذبة للنفس المحركة للعواطف النبيلة ، الدافعة إلى السعي والعمل والاستمتاع بكل ما هو جميل مباح ، لكن نحن ضد كل انحراف للإنسان عن رسالته التي خلقه الله من أجلها وهى عبادته وتعمير كونه ، نحن ضد إثارة الغرائز الجنسية باسم الفن ، وضد إباحة كل محرم باسم العلم ، وضد كل فساد باسم التقدم والمدنية .

الحب عاطفة أودعها الله تعالى القلوب ، ولا إرادة للإنسان فيها لذا لن يحاسبه الله عليه إنما الحساب يكون على الأفعال والأقوال فمثلاً : إذا أحب شاب فتاة فليس في ذلك حرمة لكن إن خلا بها من غير مَحْرَم ، وحدثها حديث الهوى فهذا هو الحرام المنهى عنه رُوى عنِ النبي ﷺ قالَ: " لاَ يَخْلُوَنّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ، إلاّ كانَ ثَالِثَهُمَا الشّيْطَانُ " (رواه أحمد والحاكم)

أما إذا أحب شاب فتاة وتزوجها فهذا هو الحب المرغوب فيه الدافع إلى الزواج والذي يعف صاحبه عن الحرام ، فإذا أحب شاب فتاة ولم يقدر على الزواج بها لضيق ذات اليد فليجتهد في عمله وليعف نفسه عن فعل المعاصي فيرزقه الله من حيث لا يحتسب وييسر له الزواج بها أو بأحسن منها .

{ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا } (الطلاق : ٢-٣)

ويقول النبي ﷺ : " ثلاثة كلهم حق على الله عز وجل عونهم المجاهد في سبيل الله والناكح الذي يريد العفاف والمكاتب الذي يريد الأداء "

(رواه الخمسة إلا أبا داود)

فإن ابتلى اللهُ تعالى الإنسانَ بحب من لا تحل له أو ما لم يقدر على الزواج منها فعليه أن يكتم هواه في قلبه ويخالف هواه في التعلق بها فلا يخالطها ولا يحدثها حتى يصرف الله تعالى عنه هذا الابتلاء ؛ فإن ذلك مما قد يبتلى به المرء ويثاب إن عف نفسه ويحاسب إن أطاع هواه وارتكب المنهى عنه من كلام وخلوة .

وقد روى عن النبي ﷺ قوله : " مَنْ عَشِقَ فَعَفَّ فَكَتَمَ فَمَاتَ فَهُوَ شَهِيدٌ "[1] لأن العشق وإن كان مبدأه النظر والسماع لكنهما غير موجبين له فهو فعل اللّه بالعبد بلا سبب وقال بعض الحكماء: العشق طمع يحدث في القلب قهراً ، وكلما قوى زاد صاحبه قلقاً وضجراً فيلتهب به الصدر فيحترق الدم فيصير مع الصفراء سوداء وطغيانه يفسد الفكر ويؤدى للجنون فربما مات وقتل نفسه، وإذا كان فعل القلب وأكثر أفعاله ضروريات فلا يؤاخذ به بل يؤجر عليه، والمراد بالعفة العفة عن إيتاء النفس حظها طلباً لراحة قلبه ومتابعة لهوى نفسه، وإن كان في غير محرم وكان صاحبه يأثم، لكن رتبة الشهادة سنية لا تنال إلا بفضيلة كاملة أو بلية شاملة وإنما قارب وصف من عف وصف القتيل في سبيل اللّه لتركه لذة نفسه فكما بذل المجاهد مهجته لإعلاء كلمة اللّه فهذا جاهد نفسه في مخالفة هواها بمحبته للقديم – الله تعالى – خوفاً ورهبة وإيثاراً على ما يحدث " [2]

فالحب عاطفة نبيلة إذا كانت بين زوجين تعفهما عن الحرام ، والحب حرام إن كان يدفع إلى انتهاك الحرمات ، وانتشار الموبقات .

إن الفتاة الملتزمة أستاذة في الحب متفوقة فيه على غيرها ؛ لأنها تحب حيث ينبغي أن تحب ، ومتى ينبغي أن تحب

يقول د. عبد الصبور شاهين : " الفتاة المتدينة لا تستخدم الحب سلعة تتاجر بها ، لكنها تدخره عاطفة طاهرة في علاقتها بزوجها ، في فترة حساسة تحتاج إلى المزيد من العواطف لتوثيق الروابط وبناء الأسرة ، ولذلك فهي أبعد الناس عن الحب " السوبر ماركت " الذي يعرض لكل من هب ودب والذي ينتهي غالباً بالاستهلاك والبحث عن جديد ، وينقل أستاذ دار العلوم حديثه من الفتاة المتدينة إلى الشاب الملتزم بأوامر دينه : إنه مثل الفتاة حريص على الأخلاق لأن الفتى والفتاة كليهما له عِرض يحرص عليه ويدافع عنه ويصونه من نزوات العبث وتصرفات المراهقة، وكما أن الفتاة تخشى أن تتعثر قدمها في تجربة تسيء إلى أخلاقها ودينها

---

(١) حديث " من عشق فعف فكتم فمات فهو شهيد " له طرق عن ابن عباس وأخرجه الحاكم في تاريخ نيسابور ، والخطيب في تاريخ بغداد ، وابن عساكر في تاريخ دمشق ، قد رواه الزبير بن بكار عن مجاهد مرفوعاً بسند صحيح ، وذكره ابن حزم في معرض الاحتجاج " كشف الخفاء للإمام العجلونى .

(٢) الإمام المناوى " فيض القدير شرح الجامع الصغير " ج٦ ص ٢٣٣

فكذلك الفتى يخشى أن تعثر قدمه في تجربة لا تعقب إلا الندم فالحب في حياة المتدين عاطفة شريفة وموقف بناء وطريق إلى السعادة الحقة لأنها عاطفة لا تغيب عنها رقابة الله . "[1]

أما الشباب الماجن العابث فإنه لا يعرف للحب الحقيقي طريقاً فقد تاهت قدماه في مغامرات طائشة وعبث ومجون أفسد عليه روحه الطاهرة ، وقلبه الأخضر البريء، وتعدد العلاقات بين الجنسين يعكر عاطفة الحب النبيلة بل يفسدها فإذا ما تزوج هذا الشباب بعد ذلك لا يجد الحب الطاهر مكاناً في قلبه بعدما أفسدته العلاقات المحرمة قبل الزواج ولا يستمتع بهذه النعمة الكبيرة التي يستمتع بها كل مؤمن ادخر حبه لزوجته فتكون زوجته هي كل النساء لأنه لم يفتح قلبه إلا لها ولم تنطق شفتاه بكلمة حب إلا فيها ، ولم تر عيناه سواها فيدوم الحب بينهما ويؤلف الله تعالى بين قلبيهما ويبارك الله لهما ويبارك عليهما ويجعل الله تعالى بيتهما سكناً ومودة ورحمة فليس هناك علاقات فاسدة تطاردهما وتفسد عليهما حياتهما بمقارنتها بالحياة الجديدة ، وعلى العكس من ذلك من أطاع هواه ولم يصرف نفسه عن الهوى ، ولم يغض بصره عن الحرام ، فأقام علاقات مع من لا تحل له وخلا بهن وعابثهن فيصبح قلبه سلعة مستهلكة من كثرة ما تداولته الأيدي فلم يعد يحس للحب الحقيقي الطاهر طعماً فإذا تزوج بإحدى صديقاته القدامى – وهذا نادر ما يحدث إذ أن الشاب لا يقبل أن يتزوج فتاة أقام معها علاقة قبل الزواج فهي عنده غير مصونة العرض ، ولا مؤتمنة على الشرف – فإن حياتهما تصبح جحيماً من الشك والغيرة القاتلة فهو أولاً : لا يأمن على وفائها وإخلاصها له فربما حنَّت لعلاقة سابقة ، وربما ملت حياتها معه وتبحث عن علاقة جديدة فما يمنعها من هذا ولا ذاك مانع ؟ لن يمنعها إلا الخوف من الله والتحلى بالخلق القويم وهو شاهد على عدم اتصافها بهما فقد عصت الله عندما أقامت علاقة معه قبل الزواج وهى غير أمينة على شرفها فقد خانت أباها وأهلها وأقامت علاقة مع من لا يحل لها !

فإذا أقسمت له على إخلاصها فلن يصدقها فقد كانت تكذب على أبيها من قبل لتستر علاقتها به .

---

(١) محمد عبد القدوس " الإسلام في حياتنا الحديثة " ص ١٢٤ ، ١٢٥ .

وإن تزوج الشاب بمن لم يقم معها علاقة سابقة فإن علاقاته بغيرها تفسد عليه هناءته فكلما تذكر صاحباته مل زوجته فهذه كانت بارعة الجمال وتلك كانت خفيفة الظل وثالثة كانت ذات ثراء فاحش .. فتصغر في عينيه زوجته مهما كانت ذات حسن وجمال فما تملكه يد الهوائي تزهده نفسه .

ونحن إذ نتحدث عن الحب فنعنى به هذا الحب الطاهر الداعي إلى الزواج والذي لا يخالف صاحبه الشرع ، وليس الحب العابث اللاهي الذي هو من همزات الشيطان .

والحب ليس بمحرم فهو قدر مكتوب لكن ما يترتب عليه من فعل أو قول هو الذي يحاسب الإنسان عليه فعن أم المؤمنين عائشة " أن النبي ﷺ كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول: اللَّهُمَّ هَذَا قَسْمِى فِيمَا أَمْلِكُ فَلاَ تَلُمْنِى فِيمَا تَمْلِكُ وَلاَ أَمْلِكُ " (رواه أحمد وأصحاب السنن)

قال الترمذي يعنى به الحب والمودة، كذلك فسره أهل العلم " [1]

والحديث يدل على أن المحبة وميل القلب أمر ليس بمقدور العبد بل هو من أقدار الرب ويدل له قوله تعالى :

{وَلَـكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ } (الأنفال : ٦٣) بعد قوله: {لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّآ أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ }

وبه فسر { وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ " (الأنفال : ٢٤)[2]

قصة يوسف الصديق مع امرأة العزيز

ولقد ضرب الله تعالى لنا المثل في القرآن بمن عفَّ نفسه عن الحرام وفضل السجن على الوقوع في الزنا وغواية النساء مع أنه كان شاباً في شرخ الشباب فكان جزاء صبره وعفته أن مكَّن الله له في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء ، أما من انساقت وراء حبها ، وراودت من أحبت عن نفسه فقد كشف الله ستره عنها ، وألزمها الذل والصَّغار ، فالعفة والصبر على الهوى رفعا صاحبهما لدرجة الصديقين ، واتباع الهوى وعدم الصبر عليه قد جعل الأعزة أذلة .

---

(١) ابن حجر العسقلاني " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ج٩ ص ٣١٣

(٢) راجع الصنعانى " سبل السلام " كتاب النكاح .

{ وَرَاوَدَتْهُ التي هُوَ في بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ } (يوسف : ٢٣)

رفض الشاب التقى الورع الفقير عرض المرأة ذات المنصب والمال والجمال ، وقد تهيأت له في زينتها ، وأحكمت إغلاق الأبواب حتى لا يخاف أحداً يفاجئه ، ولم تترك شيئاً من دواع الزنا إلا فعلته ، ومع ذلك عفَّ يوسف الصديق نفسه عن الحرام واستعاذ بالله من غواية المرأة . فلما وجدت منه الإعراض والعفة قررت إجباره على المعصية قهراً فجذبته بقوة من قميصه وقاومها بكل قوته لدرجة أن قميصه قد تمزق ، ولم يستجب لها لا غنجاً ودلالاً ، ولا عنفاً وإجباراً .(١)

وانتشر خبر حب امرأة العزيز ليوسف ومراودتها له عن نفسه وتحدثت بذلك النساء في مجالسهن وأنكرن عليها فعل الفاحشة .

{ وَقَالَ نِسْوَةٌ في الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا في ضَلاَلٍ مُّبِينٍ } (يوسف : ٣٠)

فلما بلغها ما قلن قررت أن تفتنهن بمن فتنت هى به حتى يعذرنها ولا ينكرن عليها .

{ فلما سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فلما رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ } (يوسف : ٣١)

فلما فُتن به – وحب من لا يحل لك فتنة من الله – وقطعن أيديهن دون أن يشعرن من فرط جمال يوسف واستيلاء الشيطان على قلوبهن فولا إذ رأينه غضضن أبصارهن كما أمر الله تعالى ؛ لحفظهن الله من الغواية ولما قطعن أيديهن لكنهن

---

(١) بعض الناس يسيء فهم قوله تعالى {وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ} ويتهم سيدنا يوسف بأنه كان عازماً على فعل الفاحشة لولا أن الله تعالى أنقذه منها ، والحقيقة كما بينا في موضع سابق أن همَّ سيدنا يوسف كان همّاً عارضاً ولم يكن همّاً عازماً بخلاف همِّ امرأة العزيز الذي كان همّاً عازماً ولقد اعترفت امرأة العزيز بأنها كانت عازمة على ارتكاب الفاحشة ومازالت على عزمها { وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ } .

زغن فأزاغ الله قلوبهن – وفي هذا درس فاحفظه – وعند ذلك قالت امرأة العزيز مبررة غوايتها ومعترفة بجريمتها

{ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الذي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ } (يوسف:٣٢)

ومع ذلك لم تفقد الأمل في استجابته لرغباتها الشريرة وقررت أن تستخدم وسيلة ثالثة وهى تهديده بالسجن بعدما فشلت الوسيلتان الأخريان: الدلال، والإجبار.

{ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ } (يوسف : ٣٢)

لكن من ذاق حلاوة الإيمان وأحب الله وشرعه ليستعذب السجن في طاعة الله على النعيم في معصيته .

{ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَى مِمَّا يَدْعُونَنِى إِلَيْهِ }(يوسف : ٣٣)

لكن نسوة المدينة – من الطبقة الأرستقراطية – رحن يطاردنه بحبهن في كل مكان ويعرضن عليه أنفسهن مستخدمات كل ما في جعبة النساء من غواية – وهو كثير – ومستخدمات ما عندهن من أسلحة – وهى فتاكة – في الإيقاع به في حبائلهن وهنا يلجأ المؤمن إلى الله فهو خير حافظاً ؛ ليصرف عنه السوء والفتن والغواية ، والله دائماً سميع لدعاء المؤمن عليم بحاله قدير على إجابته إلى ما فيه صلاحه .

{ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} (يوسف : ٣٣– ٣٤)

ويدخل يوسف السجن ظلماً بسبب كيد النساء إن كيدهن كان عظيماً ، ولكن الحق لابد أن يظهر وإن كثر الباطل ، ولابد للفجر أن يطلع ولو طال الظلام – هذه سنة الله في خلقه فاصبر – ويرى الملك رؤياه العجيبة ويخبره ساقيه – صاحب يوسف في السجن – بعلم يوسف بتأويل الأحاديث فيطلب الملك إحضار يوسف من السجن ليفسر له رؤياه، لكن يوسف الصديق يرفض أن يخرج من السجن إلا مرفوع الرأس عالي الهامة وأنه ما دخل السجن لأنه خائن داعر إنما دخله لأنه أمين طاهر ؛ فيطلب من الرسول الذي أرسله الملك أن يفتح الملك التحقيق في قضية دخوله السجن مرة أخرى وأن يحقق مع نسوة المدينة اللاتي قطعن أيديهن ، ومكرن به السوء .

{ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فلما جَاءهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ } (يوسف : ٥٠)

ويفتح الملك التحقيق مرة ثانية ويباشر التحقيق بنفسه ويستجوب الشهود بنفسه – وهذا ما ينبغي أن يفعله كل حاكم ألا يكتفب بالتقارير ترفع إليه من عماله بل يباشر أحوال الرعية بنفسه قدر جهده وهذا درس لكل مسئول فاحفظ – وتعترف نسوة المدينة بجريمتهن وبمراودتهن ليوسف عن نفسه كما يعترفن ببراءة يوسف مما نسب إليه زوراً .

{ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ } (يوسف : ٥١)

ولما وجدت امرأة العزيز أن الأمر قد اتضح ، وأن المستور قد افتضح ، وأن الإنكار لن يفيد اعترفت بجريمتها .

{ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَاْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ} (يوسف : ٥١)

وعَزَت امرأة العزيز جريمتها لإطاعتها نفسها الأمارة بالسوء التي تأمر من لم يعتصم بالله إلى كل حرام ، أما من اعتصم بالله ونهى النفس عن الهوى فلا سلطان لنفس عليه ولا لشيطان ، ولا لكائن من كان .

{وَمَا أُبَرِّىءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ} (يوسف : ٥١)

ويخرج يوسف رافع الرأس ، موفور العرض ، برئ الساحة ، مطاع الأمر ، ويقول له الملك تمنى عليَّ فما تتمناه فهو مجاب فيطلب من الملك أن يجعله وزيراً فيجيبه الملك إلى طلبه ويطلق يده في حكم مصر فمن أجدر لتولى هذه المناصب من يوسف الصديق حافظ الأمانة العالم بشرع الله وبأحوال الناس طاهر الذيل عفيف النفس .

{ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فلما كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ } (يوسف : ٥٤)

وبعفة يوسف وصبره وإيمانه وأمانته استحق أن يمكن الله له في الأرض يتبوء من نعيمها ما يشاء ، ويتزوج بامرأة ذات شأن عظيم_" ويقال : إن زوج زليخا –

امرأة العزيز – كان قد مات، فولاه الملك مكانه، وزوَّجه امرأته زليخا، فكان وزير صدق "[1]

وفي هذا دليل على أن من يترك الحرام مخافة الله يرزقه الله بخير منه أو مثله بالحلال.

وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاء نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاء وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ } (يوسف : ٥٦)

كان هذا أجره في الدنيا أما أجر الآخرة فأكبر درجات وأكبر تفضيلاً .

{ وَلأَجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ} (يوسف : ٥٧)

هذه قصة من عفَّ نفسه عن الحرام {فَآتَاهُمُ اللّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } (آل عمران : ١٤٨)

المراهقون والحب

كثير من الشباب والمراهقين يظنون كل عواطف أو أحاسيس حباً لذا نسمع عجباً نسمع صبياً – أو صبية – في الثالثة أو الرابعة عشرة يتحدث عن الحب وأن له – أو لها – علاقة حب مع الجنس الآخر أما إذا بلغ الشاب العشرين من عمره ولم يمر بعلاقة حب عُدَّ من الشواذ المعقدين !

ويُعْزَى هذا الفهم الخاطئ للعواطف نحو الجنس الآخر إلى الأفلام والأغاني والروايات الرومانسية التي يغرم الشباب بمشاهدتها أو قراءتها في هذه السن ، ويعيش الشاب في دور العاشق ويسهر الليل ويعد النجوم ويتقلب على جمر النار من جراء الصد والهجران وهذا كله وَهْم يرجع إلى سوء التربية من الأهل ومن القائمين على العملية التعليمة ووسائل الإعلام والترفيه ، إذ لو بُصِّر الشاب – بطريقة علمية دينية – بحقيقة المرحلة التي يمر بها ، وإذا غمر الوالدان أولادهم بالحب والعطف وأشبعوا عندهم عاطفة الحب التي تتفجر في سن المراهقة ما حدث ما يحدث ونراه كل يوم من أن أكثر من ٨٠% من الشباب لهم علاقات غرامية يخلون فيها بمن يحبون وكثيراً ما يحدث ما لا تحمد عقباه من جراء هذا الاختلاط .

---

(١) ابن كثير " البداية والنهاية " ج١ ص ٢٤٢

إن مرحلة البلوغ تبدأ كما يقول علماء النفس بتغيرات داخلية وخارجية تصحبها خصائص فسيولوجية ، وميول اجتماعية ، وعاطفية واتجاهات جنسية ، والمراهق يتعلق عاطفيّاً بمن يكبره سناً من الجنس الآخر فيتعلق المراهق بمدرسته، أو إحدى الفنانات أو إحدى قريباته أو جيرانه ، ويلاحظ أنها في البداية تكون أكبر سناً منه ثم تتحول هذه العاطفة إلى فتاة في مثل سنه زميلة ، جارة ، قريبة ..، والشيء نفسه يحدث للمراهقة فتتجه عواطفها للفنان : ممثل أو مغن ، أو رياضي مشهور : لاعب كرة أو تنس أو سباحة .. ، أو مدرس ، أو قريب ، أو جار .. ثم تتحول عاطفة المراهقة إلى من في مثل سنها : زميل ، قريب ، جار .. وغالباً ما تكون هذه العاطفة متقلبة وموزعة على أكثر من شخص ، كما تمتاز في البداية بالنزعة الرومانسية التي تخلو من أية رغبات جنسية ، كما أنها تمتاز بالمثالية وبعدها عن الواقعية والمنطقية ، ولما تصطدم هذه العواطف بالواقع والمعايير الاجتماعية ، والقيم الأخلاقية ، يلجأ المراهق إلى العزلة والانفراد بالنفس لأن المجتمع لا يحقق له ما يريد فيرفضه ويلجأ إلى أحلام اليقظة لحل مشاكله التي يعجز في الواقع عن تحقيقها ، فيصنع لنفسه عالماً خاصاً به يصنع فيه ما يحب مع من يحب ، وينتقم فيه ممن يقفون عقبة في سبيل أحلامه ، وأحلام اليقظة وإن كانت تخفف عن المراهق بعض توتره النفسي في البداية ، لكن إن استسلم لها المراهق وأصبح أسيراً لخياله وبعد عن الواقع ، وترك السعي كوسيلة عملية لتحقيق أحلامه، فإن أحلام اليقظة هذه تؤدى بصاحبها إلى السلبية وإلى الكذب الذي يلجأ إليه المراهق ليعوض به ما عجز عن تحقيقه فيظل يكذب ويكذب حتى يصدق نفسه وينسى الواقع الحقيقي وتصبح عنده شخصيتان : شخصية واقعية يبغضها ويبغض ما يذكره بها ، وشخصية من صنع خياله وأكاذيبه يحبها ولا يتخيل نفسه بدونها ، وفي النهاية لا يستطيع العيش بهاتين الشخصيتين المتناقضتين ، ولا بهذه الازدواجية فيقرر التخلص من إحدى الشخصيتين ، فإما يتخلص من الشخصية المتخيلة ويواجه الواقع ويحاول أن يحقق أحلامه أو جزءاً منها بسعيه واجتهاده ، ويكون هذا ممكناً إذا وجد من الأسرة ، والمدرسة ، والمجتمع العناية الكافية في توجيهه الوجهة السليمة وتفهم طبيعة المرحلة التي يمر بها ومساعدته على عبورها بسلام ، أما إذا لم يجد ممن حوله المساعدة ، ولم يتفهم حقيقة المرحلة السنية التي يمر بها يظل رافضاً لشخصيته الواقعية ، ومتمسكا بشخصيته المتخيلة فإنه يقرر التخلص في النهاية من شخصيته الواقعية البغيضة وهذا معناه أنه يقرر الانتحار .

وبسبب جهل المراهق بطبيعة المرحلة التي يمر بها وبسبب غيبة دور الأسرة، والمدرسة ، والمجتمع ، فإن المراهق يكون دليله في هذه المرحلة الخطيرة هو عواطفه وميوله الخاصة وآراء أصدقائه وهى تغذى فيه هذه الميول وتدعمها ، ويأتي دور الإعلام الفاسد ، والأدب الداعر ليزكى فيه نوازع الانحراف العاطفي والسلوكي ويرشده إلى طريق الرذيلة التي تبدأ بإقامة علاقات غرامية بين الجنسين باسم الحب ، وتنتهي بالزنا والمخدرات والجريمة ..

الزواج العرفي

في السنوات الأخير لجأ بعض الشباب إلى حيلة شيطانية وهى الزواج العرفي ليضفوا على ما يمارسونه من الزنا وممارسات فاحشة صفة الشرعية ، والشرع براء مما يفعلون فما يفعلون إنما هو الزنا المحرم ولا علاقة له بالزواج الشرعي، فهم يعدون الورقة التي يكتبها شاب لفتاة يعترف فيها بالزواج منها ويوقع عليها صديقان لهما هم يعدون هذا العبث وثيقة زواج شرعية !!

والزواج الشرعي لابد فيه من :

١- موافقة ولى أمر الفتاة فلا نكاح بدون ولى لقوله تعالى :

{ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ } (النساء: ٢٥)

وصح عن النبي ﷺ قوله " لا نكاح إلا بولي " (رواه أحمد وأصحاب السنن)

وعنه ﷺ أنه قال : " لا نكاح إلا بولي وشاهدين " (البيهقى والطبرانى وابن حبان)

وقد ذكر النبي ﷺ صراحة أن المرأة إذا زوجت نفسها بغير إذن وليها فإن زواجها باطل وأكد ذلك بتكرار كلمة باطل ثلاثاً .

" أَيُّمَا امْرَأَة نَكَحَتْ بِغَيْرِ إِذْنِ مَوَاليهَا فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ ، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ ، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ فَإِنْ دَخَلَ بِهَا فَالْمَهْرُ لَهَا بِمَا أَصَابَ مِنْهَا فَإِنْ تَشَاجَرُوا فَالسُّلْطَانُ وَلِيُّ مَنْ لاَ وَلِيَّ لَهُ " (رواه أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجة والحاكم) .

وقد أجمع العلماء على أنه لا يحل للمرأة أن تزوج نفسها بنفسها بلا ولى ولم يشذ عن هذا الإجماع إلا الإمام أبو حنيفة الذي أباح أن تزوج المرأة البالغ الرشيد نفسها بشرطين :

(أ) أن تتزوج بكفء والكفاءة هي مساواة الرجل للمرأة في أمور مخصوصة، وهى ست :

١- النسب (المكانة الاجتماعية) .
٢- الإسلام .(فلا يحل أن تتزوج بغير مسلم) .
٣- الحرفة (العلم والثقافة وطبيعة العمل) .
٤- والحرية .
٥- الديانة (المستوى الديني والأخلاقي) .
٦- المال (الحالة الاقتصادية) .

كما أن من يتركون الصلاة ويعلنون أنهم لا يصلون ولا يصومون، فإن هؤلاء ليسوا أكفاء للصالحات وبنات الصالحين، فإذا تزوجت واحداً من هؤلاء كان للولي الاعتراض وفسخ العقد .

والكفاءة شرط لنفاذ العقد ولزومه فإذا زوجت المرأة نفسها لمن هو دونها في أمر من الأمور الستة المذكورة كان لوليها حق الاعتراض على العقد، فلا ينفذ حتى يرضى ، أو يفسخه القاضي ." [١]

أما الشرط الثاني الذي اشترطه أبو حنيفة لزواج البالغ الرشيد نفسها :

(ب) أن يكون لها مهر المثل أي مهر فتاة من أهلها أو أقاربها كأختها أو ابنة عمها أو ابنة خالتها ... اللاتي في مثل سنها ، وتعليمها ، ووضعها الاجتماعي ، والاقتصادي ، والتعليمي ، والجمال ..

وقد جاء في فتاوى الأزهر الشريف .

" أنه إذا كان كامل الأهلية أنثى ولها ولى عاصب لا يكون تزويجها نفسها صحيحا نافذاً لازماً إلا إذا كان الزوج الذي يريد التزوج بها كفئاً لها والمهر المشروط هو مهر مثلها حتى لا يعير وليها العاصب بمصاهرة غير الكفء أو بنقصها عن مهر مثلها ومهر المثل هو مهر امرأة من قوم أبيها كأختها وعمتها وبنت عمها تساويها وقت العقد سناً وجمالاً ومالاً وبلداً وعصراً وعقلاً وديناً وأدباً وخلقاً وعلماً وبكارة أو ثيوبة وعدم ولد فإن لم توجد واحدة من قوم أبيها تساويها في هذه الصفات ينظر إلى مهر امرأة أجنبية تساويها في هذه الصفات . " [٢]

---

(١) عبد الرحمن الجزيرى " الفقه على المذاهب الأربعة " ج ٤ ص ٣٥ .
(٢) " فتاوى الأزهر الشريف في مائة عام " موضوع زواج المرأة البالغ دون إذن وليها المفتى الشيخ حسن مأمون ٢٣سبتمبر ١٩٥٨

ومما سبق يتبن لنا جليّاً أنه حتى عند أيسر المذاهب المتساهلة في الزواج – المذهب الحنفي – فإن الكفاءة ، ومهر المثل شرطان لنفاذ العقد ولزومه فإن فقد العقد كلا الشرطين أو أحدهما فإن من حق وليها فسخ العقد . فما بالكم إذا كان هذا العقد غير قانوني وغير معترف به عند التقاضي كما هو الحال فيما يسمى بالزواج العرفي بصورته الحالية .

نأتي إلى الشرط الثاني من شروط صحة الزواج وهو الإشهاد عليه على الأقل شاهدي عدل فعن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: " لا نكاح إلا بولي وشاهدين " (البيهقي والطبراني وابن حبان)

فشاهدا العدل شرط من شروط صحة الزواج فما المقصود بالعدالة وما هي الشروط الواجب توافرها في شاهد العدل حتى تصح شهادته ؟

إن المسلمين اتفقوا على اشتراط العدالة في قبول شهادة الشاهد لقوله تعالى {ممن ترضون من الشهداء} ولقوله تعالى {وأشهدوا ذوى عدل منكم} واختلفوا فيما هي العدالة؛ فقال الجمهور: هي صفة زائدة على الإسلام – أي بالإضافة للإسلام – وهو أن يكون ملتزماً لواجبات الشرع ومستحباته ، مجتنباً للمحرمات والمكروهات . " [1]

وعليه فإن الشاهد العدل الذي تصح شهادته يجب أن يكون ملتزماً بواجبات الشرع يؤدى فرائض الإسلام من صلاة وصيام وتمسك بشرع الله ومستحباته .

كما اشترط العلماء في الشاهد العدل أن يجتنب المحرمات مثل : الزنا ، وشرب الخمر ، وعقوق الوالدين، والكذب ، وشهادة الزور ، والقمار ، وقذف المحصنات ، والسرقة ، واليمين الغموس[2] ، والتشبه بالنساء ، والدياثة[3] ، والنمّ ، والغدر ،

---

(١) الإمام ابن رشد القرطبى " بداية المجتهد ونهاية المقتصد " الجزء الثاني كتاب الأقضية الفصل الأول في الشهادة .

(٢) اليمين الغموس : اليمين الكاذبة التي يتعمدها صاحبها علما بأن الأمر بخلافه وسميت غموس لأنها تغمس صاحبها في الأثم ثم في النار " القاموس المحيط

(٣) قال رسول الله ﷺ : (لا يدخل الجنة ديوث) والديوث هو الذي انعدمت شهامته وغيرته على عرضه فأصبح لا يبالى بمن يدخل على أهل بيته ومن يخرج ولا يهمه سلوك نسائه وبناته بل يسكت على المهانة ويرضى بالدون ويقر الخطيئة في أهله فهذا من أبغض الناس عند الله يوم القيامة ولن تنفعه عبادة ، ولا طاعة ولا قربة يتقرب بها إلى الله ما دام فيه هذا الداء الخطير " عبد الرحمن الجزيرى الفقه على المذاهب الأربعة " ج ٥ ص ٥٩

وتصديق الكاهن والمنجم [1] ، وإيذاء الجار ، ولبس الحرير والذهب ، والجدل والمراء ..

فهل من يشهد على مثل هذا الزواج العرفي تنطبق عليهم شروط العدالة ؟

اللهم لا .. فهم أبعد ما يكونون عن العدالة فكثير من فرائض الشرع هم لها مضيعون ، وكثير من المحرمات هم لها فاعلون ، أما المستحبات فلا يكادون يسمعون عنها ، وكذلك المكروهات ، ويكفي لسقوط عدالتهم أنهم ممن لا يقيمون الصلاة وإذا قاموا للصلاة قاموا كسالى ، ولا يبرون والديهم ، ولا يصدقون في الحديث ، ويتشبهون بالنساء ، ويؤمنون بالأبراج والنجوم ، ولا يغضون البصر ، ولا يستحون من الله ، وهم متصفون بالدياثة ... فكيف يؤتمن على أعراض الناس فاسق فاقد العرض مطعون الشرف !!

كل ذلك إن كان الزواج مشهرا معروفاً فإن كان في السر كما هو حال الزواج المسمى – خطئاً – عرفيّاً كما يفهمه طلاب المدارس والجامعات فإنه إلى جانب افتقاده إلى الشرطين السابقين وهما الكفاءة ، ومهر المثل ، فإنه يفتقد إلى شرط صحة وهو الإشهار حيث يتم دون علم أحد من أهل الفتاة وأهل الفتى ويظل في طي الكتمان ، حتى تحدث كارثة تكشفه كحمل الفتاة ، أو رغبة الفتى في قطع العلاقة – بعدما وصل إلى ما أراد – وفي هذه الحالة تضطر الفتاة إلى مصارحة أهلها بهذه الكارثة التي تنزل على العائلة كالصاعقة فهم لا يتوقعون أن ابنتهم تعرف شيئاً عن الجنس الآخر فضلاً عن إقامة علاقة معه أما أن تصل الأمور إلى

---

(١) لقد أغرم كثير من الشباب والفتيات بقراءة الأبراج وطوالع النجوم وإتيان الدجالين من قارئي الكف والفنجان وتصديقهم فيما يقولون ولقد صح عن النبي قوله : " من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد " رواه أحمد والحاكم و " جاء في صحيح مسلم عن بعض أزواج النبي ﷺ أن النبي ﷺ قال: (من أتى عرافا فسأل عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة). والعراف هو الحازر والمنجم الذي يدعى علم الغيب وهى من العرافة وصاحبها عراف، وهو الذي يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات يدعى معرفتها. وقد يعتضد بعض أهل هذا الفن في ذلك بالزجر والطرق والنجوم، وأسباب معتادة في ذلك. وكذا ينطلق عليها اسم الكهانة؛ قاله القاضي عياض. والكهانة: ادعاء علم الغيب. قال علماؤنا: وقد انقلبت الأحوال في هذه الأزمان بإتيان المنجمين، والكهان لا سيما بالديار المصرية؛ فقد شاع في رؤسائهم وأتباعهم وأمرائهم اتخاذ المنجمين، بل ولقد أنخدع كثير من المنتسبين للفقه والدين فجاءوا إلى هؤلاء الكهنة والعرافين فبهرجوا عليهم بالمحال، واستخرجوا منهم الأموال فحصلوا من أقوالهم على السراب والآل، ومن أديانهم على الفساد والضلال. وكل ذلك من الكبائر؛ لقوله عليه السلام: (لم تقبل له صلاة أربعين ليلة). فكيف بمن أتخذهم وأنفق عليهم معتمداً على أقوالهم. " تفسير القرطبي ج ٧ ص ٣

الزنا فهذا مما لم يخطر لهم على بال فقد أرسلوا ابنتهم إلى المدرسة أو الجامعة لتتعلم وبذلوا في سبيل ملابسها ودروسها ومصاريفها كل ما يملكون لتصبح ابنتهم طبيبة أو مهندسة أو ذات مؤهل جامعي يفاخرون به ويهيئ لها الزواج برجل ذي خلق ودين وعلم يفاخرون به فإذا بها تجلب عليهم العار الذي ليس بعده عار إنها تضع رءوسهم في الوحل إلى أبد الآبدين فإذا ما حاولوا إصلاح هذه الجريمة والخروج من هذا المستنقع الآسن فلا يستطيعون فمرتكب الجريمة مع ابنتهم فتى غرير مازال يأخذ مصروفه من أبيه وأمامه ما لا يقل عن خمسة عشر عاماً حتى ينتهي من دراسته ومن البحث عن وظيفة ، ومن العمل ، والادخار ، والحصول على شقة ، وتجهيزها ، وإتمام الزواج على فرض إنجاز كل مرحلة بنجاح دون معوقات !!

فلما كان هذا الحل مستحيلاً أو شبه مستحل فالحل الآخر إنهاء هذه العلاقة الآثمة وكأن شيئاً لم يكن لكن هذا الحل مستحل أيضاً لأن هذه العلاقة ليست زواجاً ينتهي عند الخلاف بالطلاق إذ لم يكن هناك زواج ابتداء حتى يكون هناك طلاق هذا إذا وافق الشاب على هذا ، الحل الثالث اللجوء إلى القضاء للتفريق بين الزانيين لكن المحكمة لن تسمع دعوى الزوجية عند إنكار الزوج إلا بوثيقة زواج رسمية

فقد نصت المادة ٩٩ من المرسوم بقانون ٧٨ لسنة١٩٣١في فقرتها الأخيرة " ولا تسمع عند الإنكار دعوى الزوجية أو الإقرار بها إلا إذا كانت ثابتة بوثيقة زواج رسمية . "

وحيث إنه ليس هناك وثيقة زواج رسمية في القضية محل النزاع فإن الدعوى ترفض ، والحل الأخير أن يتجاهل الأهل هذا الزواج وكأنه لم يكن ويغروا أي شخص بالزواج من ابنتهم الزانية مهتوكة العرض، فإن وجدوا من يرضى بها على هذه الحال فإن صديقها القديم يستطيع أن يقدم ورقة الزواج العرفي إلى النيابة متهماً خليلته بأنها تريد الجمع بين الأزواج فهي على ذمته بموجب ورقة الزواج العرفي التي معه ، وهكذا فإنها مشكلة لا حل لها .

ولقد حاول المشرع أن يجد حلاً لآلاف الفتيات اللاتي سقطن ضحايا لهذا الزواج الباطل فأصدر المادة ١٧ من القانون رقم (١) لسنة ٢٠٠٠ التي تنص على " لا تقبل الدعاوي الناشئة عن عقد الزواج إذا كان سن الزوجة يقل عن ست عشرة سنة

ميلادية أو كان سن الزوج يقل عن ثماني عشرة سنة ميلادية وقت رفع الدعوي ولا تقبل عند الإنكار الدعاوي الناشئة عن عقد الزواج في الوقائع اللاحقة علي أول أغسطس سنة ١٩٣١ ما لم يكن الزواج ثابتاً بوثيقة رسمية ومع ذلك تقبل دعوي التطليق أو الفسخ بحسب الأحوال دون غيرهما إذا كان الزواج ثابتاً بأية كتابة . "

فقد سمح هذا القانون بفسخ عقد الزواج العرفي حتى يسمح للفتيات بالزواج من آخر بعد أن كن مثل البيت الوقف .

وعلى ذلك يكون هذا الزواج – مجازاً – زواجاً باطلاً باطلاً باطلاً ،للأسباب الآتية :

١– أنه تم دون إذن ولى الفتاة .

٢– أن الفتاة لم تأخذ مهر المثل .

٣– أن الشهود عليه لا تتحقق فيهم شروط العدالة .

٤– أنه غير مشهر إنما تم في السر ولم يعلن .

٥– أنه غير موثق بوثيقة زواج رسمية .

والشرط الأخير يفقد الزواج العرفي صفة الشرعية القانونية إلى جانب عدم شرعيته الدينية ؛ فهذا الزواج – الباطل – لا يثبت عند إنكار الزوج له لا نسباً ولا ميراثاً ، ولا حقوقاً للمرأة فحتى القانون رقم (١) لسنة ٢٠٠٠ لا يحوِّل الزواج العرفي إلى شرعي إنما فقط يفسخ العقد ليسمح للفتاة بالزواج فقط .

وعليه فهذه الورقة التي يشهد عليها طالبان لا تساوى ثمن الحبر الذي كتبت به ، وهذه العلاقة المترتبة عليها هي علاقة آثمة وهي الزنا الفاحش ، وأتحدى أن يرتضى شاب ممن قاموا بهذا الزنا على أخته أو أمه الزواج بهذه الطريقة الآثمة .

ونختم هذا الموضوع بفتوى الشيخ معوض مبروك عباس ، أمين لجنة الفتوى بالأزهر عن هذا الزواج :

في الحقيقة لا تمر ساعة إلا ويسأل بعض الشباب في لجنة الفتوى عن حكم الشرع في الزواج العرفي، وهل هو حلال أو حرام ؟

الزواج الذي اشتهر في هذه الأيام باسم الزواج العرفي مغالطة وتسمية الأشياء بغير اسمها الصحيح فاسمه في الحقيقة " الزواج السري "وهو اجتماع الرجل مع المرأة فقط سرًا مع كتابة ورقة بينهما يعترف فيها الرجل بأنه تزوج المرأة حتى ولو كان هناك شهود على هذه الورقة فهذه مغالطة لتبرير فعلتهم، هذا بالإضافة إلى أن مثل هذا الزواج لا تترتب عليه آثاره .

كما أنني ألفت النظر إلى عدم الاستجابة إلى تقنين هذا الزواج ما دام قد تم في السر؛ لأن معنى هذا أننا نقنن لإباحة الزنا وفي هذا ما فيه من خطر على المجتمع وكثرة الأبناء غير الشرعيين (أبناء الزنا) وأيضا بتقنين هذا الزواج فإننا نقول للبنت افعلي ما شئت، واخرجي على طاعة الآباء والأولياء فتتقطع بذلك الروابط الأسرية وتتفكك الأسر .

وختامًا أقول للقائمين على أمر الإعلام في مصر والعالم الإسلامي وضحوا الناس مخاطر هذا النوع من الزواج، وبينوا للناس كيف يكون سببًا في ضياع حق المرأة وهيبتها وكرامتها هي أسرتها، وأن يشرح العلماء والخطباء على المنابر في المحافل الإسلامية، ويلفتوا النظر إلى ضرورة التمسك بتعاليم الإسلام وترسيخ مبادئه في نفوس الناس، كما أنني أهيب بإخواننا العلماء ألا يصدروا كلامهم بكلمة حلال ثم يضعون الشروط بعد ذلك .

ولا تقل لي إن هذا الزواج صحيح لأنه أخذ الشكل الرسمي للعقد، أو أنه يصح على بعض المذاهب، فليس هناك مذهب يجيزه على هذا الصورة المهينة التي تستبيح الأعراض، وتساعد على انتشار الرذيلة في المجتمع، فهذا لم يسلم به أحد مطلقًا من علماء الإسلام قديمًا أو حديثًا .[1]

اللهم إنى أبرأ لك مما يفعل هؤلاء الفسقة الفجرة الذين استحلوا حرماتك ، وانتهكوا أعراض إمائك ، وأشاعوا الفاحشة في المجتمع ، اللهم اكشف سترك عنهم اللهم وافضحهم .

القلب والفنون الجميلة

الفنون الجميلة : كالأدب ، والموسيقا ، والغناء ، والتصوير ، والتمثيل ..

---

(١) إسلام أون لاين نت .

مما يرتاح لها القلب وتسعد بها النفوس لما فيها من تناسق ونظام فالأدب تناسق للألفاظ ونظام لموسيقا الكلمات ، والغناء جمال في الصوت ونظام في الأداء، والموسيقا تناسق للنغم ، والرسم تناسق لألوان والظلال ، والتمثيل يجمع كل هذه الفنون ، ولكن يشترط الإسلام إلى جانب الجمال الفني عدم مخالفة الشرع .

هل كل لهو حرام ؟

وهناك من يحرم كل فن جميل بدعوى أنها تلهى عن ذكر الله واستشهدوا بقوله تعالى:

{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ } (لقمان : ٦)

وبالحديث الشريف " كل لهو يلهو به المؤمن هو باطل إلا ثلاثة ملاعبة الرجل أهله وتأديبه فرسه ورميه عن قوسه " ولقد ناقش العلماء هذه الحجة فذكر ابن حجر العسقلانى في شرح الباب الذي عقده البخارى بعنوان " باب كل لهو باطل إذا شغل عن طاعة الله " فقال " أن هذا الحديث ليس دليلاً على تحريم الملاهى المباحة لأن أي عمل يلهى عن طاعة الله فهو حرام سواء أ كان هذا العمل مشروعاً أو مباحاً فليس التحريم خاصاً باللهو المباح فقط (كما يفهمه المحرمون لكل لهو وفن وإن كان مباحاً) إنما يشمل أيضاً فيما يشمل كل عمل مشروع أو مندوب كصلاة النافلة أو تلاوة القرآن أو حتى فريضة كالسعي على المعاش أو طلب العلم .. إن كان هذا يشغل الإنسان عن عبادة مقررة حان وقت أدائها كالصلاة المفروضة مثلاً .

قوله (باب كل لهو باطل إذا شغله) أي شغل اللاهي به (عن طاعة الله) أي كمن النهى بشيء من الأشياء مطلقا سواء كان مأذونا في فعله أو منهياً عنه كمن اشتغل بصلاة نافلة أو بتلاوة أو ذكر أو تفكر في معاني القرآن مثلا حتى خرج وقت الصلاة المفروضة عمداً فإنه يدخل تحت هذا الضابط، وإذا كان هذا في الأشياء المرغب فيها المطلوب فعلها فكيف حال ما دونها "[1]

ويؤكد الإمام الشوكاني هذا المعنى فيقول : " يقول الغزالي : قوله ﷺ " فهو باطل " لا يدل على التحريم بل يدل على عدم الفائدة انتهى. وهو جواب صحيح لأن ما لا

(١) ابن حجر العسقلاني " فتح الباري بشرح صحيح البخاري " ج ١١ ص ٩١

فائدة فيه من قسم المباح على أن التلهى بالنظر إلى الحبشة وهم يرقصون في مسجده ﷺ كما ثبت في الصحيح خارج عن تلك الأمور الثلاثة .. وقد استدل المجوزون بأدلة منها قوله تعالى {ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث} ووجهه التمسك أن الطيبات جمع محلى باللام فيشمل كل طيب والطيب يطلق بإزاء المستلذ وهو الأكثر المتبادر إلى الفهم عند التجرد عن القرائن ويطلق بإزاء الطاهر والحلال وصيغة العموم كلية تتناول كل فرد من أفراد العام فتدخل أفراد المعاني الثلاثة كلها ولو قصرنا العام على بعض أفراده لكان قصره على المتبادر الظاهر وقد صرح ابن عبد السلام في دلائل الأحكام أن المراد في الآية بالطيبات المستلذات .. ومن جملة ما قاله المجوزون أنا لو حكمنا بتحريم اللهو لكونه لهواً لكان جميع ما في الدنيا محرماً لأنه لهو لقوله تعالى {إنما الحياة الدنيا لعب ولهو} ويجاب بأنه لا حكم على جميع ما يصدق عليه مسمى اللهو لكونه لهواً بل الحكم بتحريم لهو خاص وهو لهو الحديث المنصوص عليه في القرآن لكنه لما علل في الآية بعلة الإضلال عن سبيل اللّه لم ينتهض للاستدلال به على المطلوب وقد تقدم ما قاله ابن حزم ووافقه على ذلك أبو بكر ابن العربي في كتابه الأحكام وقال لم يصح في التحريم – الغناء – شيء وكذلك قال الغزالي وابن النحوي في العمدة وهكذا قال ابن طاهر إنه لم يصح منها حرف واحد والمراد ما هو مرفوع منها وإلا فحديث ابن مسعود في تفسير قوله تعالى {ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل اللّه} قد تقدم أنه صحيح وقد ذكر هذا الاستثناء ابن حزم فقال إنهم لو أسندوا حديثاً واحداً فهو إلى غير رسول اللّه ﷺ ولا حجة في أحد دونه كما روى عن ابن عباس وابن مسعود في تفسير قوله تعالى {ومن الناس} الآية أنهما فسرا اللهو بالغناء قال ونص الآية يبطل احتجاجهم لقوله تعالى { ليضل عن سبيل اللّه} وهذه صفة من فعلها كان كافراً ولو أن شخصاً اشترى مصحفاً ليضل به عن سبيل اللّه ويتخذها هزواً لكان كافراً فهذا هو الذي ذم اللّه تعالى وما ذم من اشترى لهو الحديث ليروح به نفسه لا ليضل به عن سبيل اللّه انتهى.

قال الفاكهاني: لم أعلم في كتاب اللّه ولا في السنة حديثاً صحيحاً صريحاً في تحريم الملاهي وإنما هي ظواهر وعمومات يتأنس بها لا أدلة قطعية "[1] .

---

(١) الإمام الشوكانى " نيل الأوطار " ج ٨ ص ١٧٩

ويقول العالم الفقيه يوسف القرضاوي :

الإسلام دين واقعي لا يحلق في أجواء الخيال والمثالية الواهمة، ولكنه يقف مع الإنسان على أرض الحقيقة والواقع. ولا يعامل الناس كأنهم ملائكة أولو أجنحة مثنى وثلاث ورباع، ولكنه يعاملهم بشرا يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق.

لذلك لم يفرض على الناس –ولم يفترض فيهم– أن يكون كل كلامهم ذكرا، وكل صمتهم فكرا، وكل سماعهم قرآنا، وكل فراغهم في المسجد. وإنما اعترف بهم وبفطرتهم وغرائزهم التي خلقهم الله عليها، وقد خلقهم سبحانه يفرحون ويمرحون ويضحكون ويلعبون، كما خلقهم يأكلون ويشربون .

ولقد بلغ السمو الروحي ببعض أصحاب النبي ﷺ مبلغاً ظنوا معه أن الجد الصارم، والتعبد الدائم لا بد أن يكون ديدنهم ، وأن عليهم أن يديروا ظهورهم لكل متع الحياة ، وطيبات الدنيا، فلا يلهون ولا يلعبون ، بل تظل أبصارهم وأفكارهم متجهة إلى الآخرة ومعانيها بعيدة عن الحياة ولهوها .

ولنستمع إلى حديث هذا الصحابي الجليل حنظلة الأسيدى – وكان من كتاب رسول الله ﷺ – قال يحدثنا عن نفسه: لقينى أبو بكر وقال: كيف أنت يا حنظلة ؟

قلت: نافق حنظلة .

قال: سبحان الله، ما تقول ؟

قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأى عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا (لاعبنا) الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيراً .

قال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا.

قال حنظلة: فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ .

قلت: نافق حنظلة يا رسول الله.

فقال رسول الله ﷺ : وما ذاك ؟

قلت: يا رسول الله. نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأى عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، ونسينا كثيراً.

قال رسول الله ﷺ : " والذي نفسى بيده: إنكم لو تدومون على ما تكونون عندى وفي الذكر، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ، ساعة وساعة ، وكرر هذه الكلمة –ساعة وساعة– ثلاث مرات ".[1] (رواه مسلم)

وكانت حياته ﷺ مثالاً رائعاً للحياة الإنسانية المتكاملة: فهو في خلوته يصلى ويطيل الخشوع والبكاء والقيام حتى تتورم قدماه، وهو في الحق لا يبالى بأحد في جنب الله، ولكنه مع الحياة والناس بشر سوى يحب الطيبات، ويبش ويبتسم، ويداعب ويمزح، ولا يقول إلا حقاً .

كان ﷺ يحب السرور وما يجلبه، ويكره الحزن وما يدفع إليه من ديون ومتاعب، ويستعيذ بالله من شره ، ويقول : "اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن" (متفق عليه)

ومما روى في مزاحه أن امرأة عجوزا جاءته تقول له: يا رسول الله، ادع الله لى أن يدخلنى الجنة. فقال لها: يا أم فلان إن الجنة لا يدخلها عجوزاً . وانزعجت المرأة وبكت –ظناً منها أنها لن تدخل الجنة– فلما رأى ذلك منها بين لها غرضه: إن العجوز لن تدخل الجنة عجوزاً ، بل ينشئها الله خلقاً آخر، فتدخلها شابة بكراً . وتلا عليها قول الله تعالى: (إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاء فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُرُبًا أَتْرَابًا) (الواقعة:٣٥-٣٧)

وكذلك كان الصحابة الطيبون الطاهرون، يمزحون ويضحكون ويلعبون ويتندرون، معرفة منهم بحظ النفس، وتلبية لنداء الفطرة وتمكينا للقلوب من حقها في الراحة، واللهو البريء لتكون أقدر على مواصلة السير في طريق الجد. وإنه لطريق طويل.

قال على بن أبى طالب : إن القلوب تمل كما تمل الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكمة.

وقال: روحوا القلوب ساعة بعد ساعة، فإن القلب إذا أكره عمي.

---

(١) وفي رواية " روحوا القلوب ساعة فساعة " يقول الإمام السيوطي في شرح الحديث : أي أريحوها بعض الأوقات من مكابدة العبادات، بمباح لا عقاب فيه ولا ثواب. قال أبو الدرداء: "إنى لأجِمُّ فؤادى ببعض الباطل" أى اللهو الجائز "لأنشط للحق". وذكر عند المصطفي ﷺ القرآن والشعر، فجاء أبو بكر فقال " أقراءة وشعر؟" فقال "نعم، ساعة هذا وساعة ذاك". وقال على كرم الله وجهه "أجِمّوا هذه القلوب، فإنها تمل كما تمل الأبدان" أى تكل " الجامع الصغير لجلال الدين السيوطي .تتمة بابَ حرف الراء .

وقال أبو الدرداء : إنى لأستجم نفسي بالشيء من الباطل، ليكون أعون لها على الحق.

فلا بأس على المسلم أن يتفكه ويمزح بما يشرح صدره، ولا حرج عليه أن يروح نفسه ونفوس رفقائه بلهو مباح. على ألا يجعل ذلك ديدنه وخلقه في كل أوقاته، ويملأ به صباحه ومساءه، فينشغل به عن الواجبات، ويهزل في موضع الجد. ولذا قيل (أعط الكلام من المزح بقدر ما يعطى الطعام من الملح).

وقد أذن النبي ﷺ للحبشة أن يلعبوا بها في مسجده الشريف، وأذن لزوجته عائشة أن تنظر إليهم، وهو يقول لهم: "دونكم يا بنى أرفدة ". وهى كنية ينادى بها أبناء الحبشة عند العرب.

ويبدو أن عمر –لطبيعته الصارمة– لم يرقه هذا اللهو، وأراد أن يمنعهم، فنهاه النبي ﷺ عن ذلك، فقد روى الصحيحان عن أبى هريرة قال: بينما الحبشة يلعبون عند النبي ﷺ بحرابهم، دخل عمر فأهوى إلى الحصباء فحصبهم بها، فقال رسول الله ﷺ : "دعهم يا عمر".

وإنه لتوجيه نبوى كريم في معاملة الزوجات وترويح أنفسهن بإتاحة مثل هذا اللهو المباح. قالت عائشة زوج النبي الكريم: "لقد رأيت النبي ﷺ يسترنى بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد، حتى أكون أنا الذي أسأمه، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن، الحريصة على اللهو".

وقالت كنت ألعب بالبنات عند رسول الله ﷺ في بيته –وهن اللُعَب– وكان لي صواحب يلعبن معي، وكان رسول الله ﷺ إذا دخل ينقمعن (يستخفين هيبة منه) فيسر بهن إلى، فيلعبن معي".(١)

ويقول الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر الفقيه المجتهد محمود شلتوت : " إن الله خلق الإنسان بغريزة يميل بها إلى المستلذات والطيبات التي يجد لها أثراً في نفسه، به يهدأ وبه يرتاح وبه ينشط وتسكن جوارحه، فتراه ينشرح بالمناظر الجميلة كالخضرة المنسقة والماء الصافي والوجه الحسن والروائح الزكية، وأن الشرائع لا

(١) د. يوسف القرضاوى " الحلال والحرام في الإسلام " باب " في اللهو والترفيه "

تقضى على الغرائز بل تنظمها، والتوسط في الإسلام أصل عظيم أشار إليه القرآن الكريم في كثير من الجزئيات، منها قوله تعالى :

{ يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ } (الأعراف ٣١) وبهذا كانت شريعة الإسلام موجهة الإنسان في مقتضيات الغريزة إلى الحد الوسط ، فلم تترك لانتزاع الغريزة في حب المناظر الطيبة ولا المسموعات المستلذة وإنما جاءت بتهذيبها وتعديلها إلى مالا ضرر فيه ولا شر يقول ابن حزم إن الأمر مرتبط بالنية فمن نوى ترويح نفسه وتنشيطها للطاعة فهو مطيع محسن، ومن لم ينو لا طاعة ولا معصية فهو لغو معفو عنه، كخروج الإنسان إلى بستانه متنزها وقعوده على باب داره متفرجاً .

ولقد كنت أرى أن هذا القدر كاف في معرفة حكم الشرع في الموسيقا وفي سائر ما يحب الإنسان ويهوى بمقتضى غريزته لولا أن كثيراً من الناس لا يكتفون بل لا يؤمنون بهذا النوع من التوجيه في معرفة الحلال والحرام ، وإنما يقنعهم عرض ما قيل في الكتب وأُثِر عن الفقهاء ، وإذا كان ولابد فليعلموا أن الفقهاء اتفقوا على إباحة السماع (أي سماع الغناء) في إثارة الشوق إلى الحج وفي تحريض الغزاة على القتال وفي مناسبات السرور المألوفة كالعيد والعرس ، وقدوم الغائب وما إليها . ورأيناهم فيما وراء ذلك على رأيين يقرر أحدهما الحرمة ، ويستند إلى أحاديث وآثار ، ويقرر الآخر الحِّل ، ويستند كذلك إلى أحاديث وآثار ، وكان من قول القائلين بالحِّل : " إنه ليس في كتاب الله ولا سنة رسول الله ، ولا في معقولهما من القياس والاستدلال ما يقتضي تحريم مجرد سماع الأصوات الطيبة الموزونة مع آلة من الآلات " وقد تعقبوا جميع أدلة القائلين بالحرمة وقالوا:إنه لم يصح منها شيء[1]

الأدب

ومن أهم الفنون التي تميل إليها القلوب فن الأدب : الشعر والنثر .

فالكلمة في مجال الأدب تتوقد حيوية وإثارة وتتسم بالجمال والمتعة ، وتفعل بالمتلقي فعل السحر لكن الإسلام يشترط أن تكون الكلمة نافعة غير ضارة بناءة غير هدامة فالاستمتاع بجمال التعبير لا ينسينا أهمية معناه وخطورة مغزاه فإن مجَّد

(١) الإمام الأكبر محمود شلتوت " الفتاوى " دار الشروق ص ٤١٠ – ٤١٣ بتصرف .

الأدب الخمر ، وإن تفحش في الغزل ، وإن أقذع في الهجاء ، وإن خرج على الشرع فهو غير مقبول وإن كان بارعاً في قيمه الفنية والتعبيرية .

يقول الإمام الأكبر عبد الحليم محمود شيخ الجامع الأزهر " الأدب في أوضاعه المستقيمة إنما هو لإصلاح المجتمع والسير به في طريق الكمال خطوة فخطوة وأن من يضع لبنة في صرح الفضيلة فإنما يضع لبنة في صرح الكمال وأن من يضع لبنة في صرح الرذيلة فإنما يضع لبنة في صرح النقص . " (١)

فالشعر الجميل معنى وبلاغة " كان رسول الله ﷺ يسمعه ، وأبو بكر ينشده ، فهل للتقليد والاقتداء موضع أرفع من هذا. قال ابن عمر: ولا ينكر الحسن من الشعر أحد من أهل العلم ولا من أولى النهي، وليس أحد من كبار الصحابة وأهل العلم وموضع القدوة إلا وقد قال الشعر، أو تمثل به أو سمعه فرضيه ما كان حكمة أو مباحا، ولم يكن فيه فحش ولا خناً ولا لمسلم أذى، فإذا كان كذلك فهو والمنثور من القول سواء لا يحل سماعه ولا قوله؛ وروى أبو هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ على المنبر يقول: " أصدق كلمة – أو أشعر كلمة – قالتها العرب قول لبيد : ألا كل شيء ما خلا الله باطل " (٢)

وقال كعب يا رسول الله! إن الله قد أنزل في الشعر ما قد علمت فكيف ترى فيه ؟ فقال النبي ﷺ : " إن المؤمن يجاهد بنفسه وسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لكأن ما ترمونهم به نضح النبل " (رواه الترمذى وأحمد)

ولقد فقد الشعر معناه ومبناه عند كثير من شعراء الحداثة وما بعدها فألفاظه ومعانية تتسم عندهم بالاستغلاق والاستبهام ، وتفتقر إلى الفصاحة والإبانة والبيان ، لقد تحول الشعر إلى ألاعيب لفظية مجردة من قواعد اللغة ومن قواعد الفن الشعري لا يربط بين الألفاظ رابط ولا يحكمها قانون ، وإذا انتقد هذا المذهب ناقد واتهم شعرهم بالاستغلاق والاستبهام رموه بالجهل والتخلف وقالوا : إن العيب فيه وليس فيما يكتبون من ألاعيب لفظية ! ولن أطيل في هذا الموضوع لأنه – والحمد لله – لا يقرأ أدبهم سواهم فلقد أعرض الناس عن قراءة أدبهم فأصبحت كتابتهم موجهة لأنفسهم ولم يكتب لها قدراً من الذيوع والانتشار .

---

(١) الإمام الأكبر الشيخ عبد الحليم محمود " موقف الإسلام من الفن والعلم والفلسفة " ص ٢٣

(٢) " تفسير القرطبي " ج ١٣ ص ١٤٧ .

فن الموسيقا والغناء

ومما شاع في زمننا هذا شيوعاً ليس له حد الموسيقا والغناء لدرجة جعلت المشتغلين بهذه الفنون لا يبارون في الشهرة والثراء مما أغرى كل عاطل أو باحث عن الشهرة والثراء أن يقتحم هذا المجال ويمتهن هذه المهنة مما جعل الغناء في السنوات الأخيرة طريقاً سهلاً للربح السريع والشهرة الواسعة فدخل هذا المجال دخلاء على الفن الجميل ليس بغرض حبهم للغناء وحرصهم على تقديم فن جميل بل بهدف الاسترزاق ، والعجيب أن هذه العملة الرديئة قد طردت العملة الصحيحة من السوق والمسئول عن ذلك أجهزة الإعلام التي ركزت على أصحاب الأصوات المنكرة والألحان المكررة فألفت أذن الشباب القبيح ، وتعودت عيونهم المنكر – الفيديو كليب – ففسدت الأذواق ، وانحلت الأخلاق ، نقول هذا حتى لا يظن الإنسان أن كل أنواع الغناء مباحة فيقبل عليها فيسقط في هوة الحرام .

أما الغناء الجميل المهذب للنفوس الخالي من المنكرات فإنه مباح خاصة في المناسبات السعيدة كالأعياد والأفراح بشرط إلا يقرن بمحرم أو يشغل عن واجب .

فقد سمع النبي الغناء وأمر عائشة بأن تكون هديتها لعروس ذات قرابة لها مغنياً يغنى لها .

وهاك الحديث الذي رواه ابن ماجة " عن ابن عباس قال "أنكحت عائشة ذات قرابة لها من الأنصار فجاء رسول اللّه ﷺ فقال أهديتكم الفتاة قالوا نعم قال أرسلتم معها من يغنى ؟ قالت : لا... فقال ﷺ : إن الأنصار قوم فيها غزل فلو بعثتم معها من يقول أتيناكم أتيناكم فحيانا وحياكم." (رواه ابن ماجه)

وعن عائشة رضى الله عنها أنها زفت امرأة إلى رجل من الأنصار، فقال نبي الله ﷺ : " يا عائشة ، ما كان معكم لهو؟ فإن الأنصار يعجبهم اللهو . (رواه البخارى) ويشرح البخاري " اللهو " فيقول : اللهو مباح ، كضرب دف وغناء ليس فيه وصف للمفاتن وما يثير كوامن النفس ".

بل يعقد البخاري فصلاً عنوانه " سنة العيدين لأهل الإسلام " استهله بهذا الحديث" عن عائشة رضى الله عنها قالت: دخل أبو بكر، وعندي جاريتان من جواري الأنصار، تغنيان بما تقاولت الأنصار يوم بعاث[1] ، قالت: وليستا بمغنيتين، فقال

(١) يوم بعاث يوم اقتتلت فيه الأوس والخزرج، وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج .

أبو بكر: أمزامير الشيطان في بيت رسول الله ﷺ ؟ وذلك في يوم عيد، فقال رسول الله ﷺ : (يا أبا بكر، إن لكل قوم عيداً، وهذا عيدنا " (متفق عليه)[1] .

وورد عن بعض صحابة رسول الله سماعهم للغناء فقد جاء في الحديث الصحيح عن عامر بن سعد قال : " دخلت على قرظه بن كعب وأبى مسعود الأنصارى في عرس وإذا جوار يغنين فقلت أنتما صاحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أهل بدر يفعل هذا عندكم فقال اجلس إن شئت فاسمع معنا وإن شئت اذهب قد رخص لنا في اللهو عند العرس " (رواه النسائى والحاكم وصححه)

لكنا لسنا مع كل غناء فإذا كانت الكلمة خادشة للحياء فاحشة أو داعية إلى منكر ، وإذا كان الأداء فيه تكسر وتخنث ، وإذا صحب هذا الغناء رقص مثير فهو حرام بلا خلاف .

يقول د. يوسف القرضاوي :

" ومن اللهو الذي تستريح إليه النفوس، وتطرب له القلوب، وتنعم به الآذان الغناء ، وقد أباحه الإسلام ما لم يشتمل على فحش أو خنا أو تحريض على إثم ، ولا بأس أن تصاحبه الموسيقى غير المثيرة.

ويستحب في المناسبات السارة، إشاعة للسرور، وترويحا للنفوس وذلك كأيام العيد والعرس وقدوم الغائب، وفي وقت الوليمة، والعقيقة، وعند ولادة المولود ...

وقد روى عن كثير من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أنهم سمعوا الغناء ولم يروا بسماعه بأساً .

أما ما ورد فيه من أحاديث نبوية فكلها مثخنة بالجراح لم يسلم منها حديث من طعن عند فقهاء الحديث وعلمائه، قال القاضي أبو بكر بن العربي: لم يصح في تحريم الغناء شيء. " [2]

إن الغناء المباح إذن هو الذي يثير العواطف النبيلة لا الغرائز الفاجرة ، كما يشترط فيه ألا يصاحبه محرم : كخمر أو رقص وأن ويؤدى بطريقة خالية من التكسر ، إلى جانب سلامة الكلام من المحرم والقبيح ،[1] .

---

(١) ولمزيد من التفاصيل على إباحة الغناء يرجع إلى فتاوى الأزهر الشريف ، " فقه السنة " للشيخ سيد سابق ، فتاوى د. يوسف القرضاوى ، وفتاوى الشيخ شلتوت ، والشيخ عطية صقر ، والشيخ محمد الغزالي ، وغيرهم ...

(٢) د. يوسف القرضاوى " الحلال والحرام في الإسلام " باب " في اللهو والترفيه " بتصرف .

obeikandl.com

أما الأغاني التي انتشرت في السنوات الأخيرة تحت عنوان أغاني شبابية أو حديثة فلا علاقة لها بالفن الجميل ولا الخلق القويم فقد خلت من المعاني الشريفة، ومن الأصوات الجميلة ، واشتملت على رقص فاجر ، وعرى فاضح ، وتكسر مثير ، والأغاني بهذا الشكل حرام حرام فهى خالية من كل فن جميل متصفة بكل محرم وقبيح ، وبالطبع ليس كل المطربين هكذا فهناك أغان يحرص أصحابها على حسن اختيار الكلمات ، والألحان والأداء ، ولا تصاحبها مفاسد .

وإذا كان هناك من يبيح الغناء بأي شكل وعلى أية صورة فإن هناك من يحرمون الغناء جملة وتفصيلاً وإن كان غناء وطنيّاً أو احتفالاً بأعياد النصر !!

التصوير والنحت

فنكتفي بذكر فتوى الأزهر الشريف في حكم التصوير ، ونحت التماثيل وخلاصتها :

١- القرآن الكريم ذم عبادة الأوثان وردد قصص الأقوام الوثنيين السابقين ومواقف الأنبياء معهم.

٢ - التصوير الضوئي المعروف الآن للإنسان والحيوان والرسم لا بأس بهما متى كان ذلك لأغراض علمية مفيدة للناس، وخلت الصور والرسوم من مظاهر التعظيم ومظنة التكريم وإثارة الغرائز لارتكاب الفواحش والمحرمات.

٣- تحريم النحت والحفر الذي يكون تمثالا كاملا لإنسان أو حيوان.

٤ - آثار الأمم السابقة وسيلة لدراسة تاريخهم علميّاً وسياسيّاً وحربيّاً، وأخذ النافع من هذا التاريخ. وهذا يقتضى جواز إقامة المتاحف.

٥ - اعتبار الآثار سجلاً تاريخيّاً يلزم المحافظة عليه. لأنه من الضرورات العلمية.

٦ -جواز استعمال لعب الصغار ولو على هيئة تماثيل لتعليم الأطفال وتسليتهم"[٢]

نأتي إلى فن آخر شاع في زماننا وهو فن التمثيل .

---

(١) ولقد صرح أحمد زويل في حوار أجرته معه مجلة " آخر ساعة " المصرية بعد حصوله على جائزة نوبل بأن " كل اكتشافاتى العلمية توصلت إليها على صوت أم كلثوم " ولزويل جائزة سنوية للمواهب الشابة في الغناء العربي .

(٢) "فتاوى الأزهر في مائة عام " .

فن التمثيـــل

إن التمثيل من أهم الفنون التي تجذب الناس وتؤثر فيهم فهو فن مؤثر قادر علـــى التغيير والإصلاح متى قيد الله له رجالاً يخشون الله ويتقونه ، لكن مع الأســـف أن هذا الفن الجميل سيطر عليه منذ نشأته الخلعاء والماجنون ، والفسقة ودعاة الغرائز الدنيا – إلا من رحم ربي – فحادوا به عن سواء السبيل لدرجة انه أضحى – فـــي كثير من الأحيان – عنواناً على الفسق والمجون والفحـــش والـــسفور ، وممـــا زاد الطين بلة والداء علة أن أصبح هذا الفن الجميل قاصراً – في الغالب – على هـــذه الفئة بعدما اكتفي الملتزمون دينيّاً بأن حكموا عليه بالتحريم وعلى أصحابه بالفـــسق والفجور ، حتى الذين كانون يعملون في هذا المجال وهداهم الله وتابوا هجـــروه – في الغالب – ولم يحاولوا أن يصلحوا ما أفسدوه عـــن طريـــق هـــذا الفـــن الـــذي يجيـــدونه ! والعجيب أن المعـــتزلين عملوا دعـــاة للإســـــلام وزاحمـــــوا أهـــل التخصص في مجال الدعوة !

وسوف نذكر أشهر الموضوعات التي اهتمت بها السينما وكيف عالجتهـــا لنحـــذر شبابنا من هذه الأفلام ونكشف ما فيها من فساد فكرى وخلقي ، لعلنا نـــشارك ولـــو بجهد يسير في إنقاذ شبابنا بل مجتمعنا من السموم التي تقدم له في شكل فن جميـــل كما نحاول أن نشارك قدر استطاعتنا في مضمار أغلق دون أهله ولا تـــسمع فيـــه دعوى من غيرهم بحجة عدم التخصص وأنه لا دخل لعلماء الدين في الفـــن ؛ لأن علماء الدين لهم ميدانهم وهو المسجد الذي لا ينازعهم فيه أحد فلا يؤم ناقـــد فنـــي الناس كما لا يصعد ممثل المنبر ، ورجال الدين كما سبق وأشرنا يكتفون بإصـــدار الفتاوى بتحريم الفنون كل الفنون ويظنون أنهم بذلك قد أبرءوا ذمتهم أمام الله ، كما أنه لا يستطيع واحد منهم أن يدعى أنه من رواد السينما أو من مشاهدي الأفـــلام – وإن كان من باب النقد – فهذا يتنافي مع مكانته الدينية ، وإن تحدث أحدهم عن أحد الأفلام أو المسلسلات اتهم بالرجعية والتخلف ، والتدخل فيما لا علم له به ، وبهـــذا اتسعت الفجوة بين الفن وأهله ، وبين الدين ورجاله واكتفـــي كـــل مـــن الطـــرفين بالإساءة للآخر وضاع الناس بينهم فلا رجال الدين بينوا لنا المخالفـــات الـــشرعية التي تشتمل عليها الأفلام فنقتنع بوجهة نظرهم ، ولا أهل الفن قدموا لنا فناً نظيفـــاً يبنى ولا يهدم .

وسأحاول – قدر جهدي ومبلغ علمي – أن أعبر حقل الألغام وأن أناقش مضمون أهم التيمات السينمائية بنظرة أتمنى أن تكون موضوعية لأني لا أزعم أنـــى رأيـــت كل الأفلام ولا قرأت كل ما كتب عن السينما إنما أزعم أنى درست الأدب وفنونه ، ومذاهبه النقدية كما أزعم أنني متابع للحركة الفنية عموماً ، وأزعم أننـــي قـــرأت وسمعت عشرات بل لا أتجاوز الحقيقة إذا قلت مئات من المقالات النقدية لكبار نقاد الفن والمهتمين به .

حوار بين شيخ مستنير وناقد فني

وأحب أن أبدأ بالإجابة عن سؤال مهم وهو ، هل من حق رجل الـــدين أن ينقـــد عملاً فنيّاً ؟

وللإجابة عن هذا السؤال نتخيل أن هناك حواراً بين ناقد نفي ورجل مـــن رجـــال الدين المستنيرين حول إجابة هذا السؤال .

الشيخ : نعم من حقه .

الناقد : كيف وهو غير متخصص في النقد الفني ؟

– إن رجل الدين عندما ينقد فيلماً ينقد فكرته أولاً ، ثم ينقد ما عساه يكون مخـــلاً بمبادئ الدين وقيمه .

– وما دخل الدين في الفن ؟! هذا له مجال مغاير لذاك .

– بالطبع الدين له دخل بكل أفعال الإنسان يقوِّمها ويهذبها ، ويميز الخبيث فيهـــا من الطيب .

– الفنون والآداب تخضع لمقاييس فنية أدرى بها أهلها .

– الدين أنزله الله ليكون منهج حياة للبشر وليس فقط عبادة تؤدى ولا علاقة لهـــا بسائر حركة الإنسان .

– لكن هناك مساحة من الحرية أعطاها الله للإنسان لكي يستمتع بحياته {وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا} (القصص : ٧٧) فالحياة ليست كلها عبادة إنما ساعة وساعة .

لقد شرع الله تعالى الدين لسعادة الإنسان في الدارين ، ولا تعارض بـــين الـــدين وكل لهو برئ ، إنما الدين يحرم كل ما هو خبيث { وَيُحِلُّ لَهُـــمُ الطَّيِّبَـــاتِ وَيُحَـــرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ} (الأعراف : ١٥٧) ثم نأتي للآية التي اجتزأتها من ســـياقها لـــو ذكرتها كاملة لعرفت المراد بنصيب الإنسان من الدنيا وهو من الطيبات لا الخبائث

فإن النبي ﷺ كان يحب الحلواء ، ويشرب العسل ، ويستعمل الشواء ، ويشرب الماء البارد ، لكنه كان لا يشرب الخمر ولا يشاهد الرقص ، ولا يلعب الميسر .

- لكن من يحكم بكون هذا الأمر خبيثاً أو طيباً ؟! أن العملية نسبية تختلف من إنسان للآخر حسب تعليمه وثقافته وتربيته .

- لقد فصَّل الله تعالى المحرمات في كتابه العزيز وفي سنة نبيه الكريم ، ولم يمت النبي إلا وقد اكتمل الدين عقيدة وشريعة وعبادة ومعاملات وأخلاق .. " قد تركتكم على البيضاء. ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى إلا هلك. مِن يعش منكم فيسرى اختلافاً كثيراً. فعليكم بما عرفتم مِن سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ. وعليكم بالطاعة." (رواه أحمد وابن ماجة والحاكم) .

- لكن معظم الفنون – إن لم يكن كلها – من محدثات العصر ولم يأت بشأنها نصوص تحرم أو تبيح .

- هناك مبادئ عامة معلومة من الدين بالضرورة وليس هناك مسلم حقاً يجهلها فضلاً عن أن ينكرها مثل : التبرج ، والعرى ، والتكسر في القول والسير ، ومشاهدة الأحضان والقبلات فضلاً عن ممارستها مع غير من لا تحل له عياناً جهاراً.. هذه من المحرمات في الإسلام فإذا اشتمل فن من الفنون عليها أو على بعضها يكون هذا المشهد مُحَرَّماً على من قام به أو شاهده .

-لكن أحياناً الضرورة الفنية تقتضى أن تظهر ممثلة تؤدى دور راقصة أو ساقطة متبرجة كاشفة عن مواطن الفتنة فيها حتى يصدق الناس أنها راقصة فليس من المعقول أن نأتي بامرأة منتقبة لتؤدى دور راقصة مثلاً ! إن التبرج والعرى والتكسر والأحضان والقبلات وما إلى ذلك إنما هي وسائل لتقديم فن هادف وليست مقصودة لذاتها .

- في الإسلام الوسائل تأخذ حكم المقاصد ، فلا بد أن يكون المقصد شريفاً ووسيلة الوصول إليه شريفة ؛ فالغاية لا تبرر الوسيلة إذ يشترط الإسلام أن تكون الوسيلة مشروعة لغاية مشروعة فلا يصح أن أسرق من الأغنياء لأتصدق على الفقراء أو أتاجر في المخدرات لأبنى جامع " إن اللّه طيِّب لا يقبل إلا طيباً "

والفنان الناجح لو أراد أن يقدم النموذج المنحرف، يمكن أن يقدمه بلمسات لطيفة، كما في قصة يوسف عليه السلام، لكن معظم الفنانين الآن يُحسِّنُون الفاحشة.

ومن الممكن أن يكون الفيلم واقعيّاً ويلمس الأشياء لمساً يبين الانحراف دون الإغراق في تفاصيل تثير غرائز المشاهد وتبعده عن الهدف الرئيس. وقديماً قال البحتري : والشعر لمحٌ تكفي إشاره ... وليس بالهذر طولت خطبه

ويقول أيضاً : ومعانٍ لو فصلتها القوافي ... هجنت شعر جرولٍ ولبيد

لكن مع الأسف فإن كثيراً من الفنانين لا يكتفون بالإشارة إلى الانحراف بل يقصدون إلى إثارة الغرائز الجنسية قصداً .

- معنى ذلك أنك ترفض ظهور المرأة في الأعمال الفنية ، والاكتفاء بدور الرجال فقط !

- لا.. أنا لم أقل هذا إنما أقول إن ظهور المرأة في الأعمال الفنية يجب أن يكون كإنسانة تؤدى دوراً لخدمة المجتمع مكملاً لدور الرجل ومتمماً له ، لكن أن تقدم المرأة كأنثى أو كجسد ومهمتها في الفيلم تكمن في غواية الرجال ومهمتها في السينما تكمن في غواية المشاهدين فلا ، وللأسف الشديد لقد أساءت كثير من الأعمال الفنية إلى المرأة بتحويلها إلى جسد فاتن لتروج بها فكراً فاسداً وتثير به غرائز جنسية نائمة ، ولم تقدمها كإنسان يساهم في غرس القيم النبيلة .

- لكن هناك قواعد تعارف عليها أهل هذه الصناعة يجب أن تراعى ولا دخل للدين فيها .

- أولاً : الدين ليس ضد كل فن جميل هادف يرقى بالذوق ويدعو للفضيلة إنما الدين ضد كل انحراف وفساد ورذيلة . ثانياً : نحن مأمورون باتباع الله وليس اتباع أحد سواه ، وقواعد هذا الفن إنما وضعها من يختلف عنا في الدين واللغة والعادات والتقاليد .. فلِم يجب علينا تقليدهم فيها ؟! ولِمَ نستورد من الغرب أفلامهم وأزياءهم، وانحرافهم ، وعاداتهم ؟ إن أغلب موضوعات السينما المصرية إنما هي مأخوذة من أفلام أجنبية تعالج مشاكلهم بما يتناسب مع قيمهم . فلم هذا الإصرار على التقليد الأعمى ؟ لماذا لا نستقى موضوعات الأفلام من واقع بيئتنا العربية الإسلامية ؟ كما نراعي عادات وقيم هذه البيئة في معالجتها . لماذا لا نعالج مشاكلنا نحن بالوسائل المناسبة لمجتمعاتنا بدلاً من استيراد معالجات لمشاكل غيرنا تجلب لنا المشاكل ، إن المُشاهد لأفلامنا يجد أنها – غالباً – مبتوتة الصلة بينها وبين

مجتمعنا، لقد استسهل المؤلفون فاقتبسوا أو سطوا على أفكار الأفلام الأجنبية ولم يفكروا في تأليف جاد يعبر عنا ، واختار المخرجون نفس الطريق فأخرجوا بنفس فكر أساتذتهم الأجانب ، وكذلك فعل الممثلون ، والنتيجة أن أصبحت أفلامنا مسخاً مشوهاً كالغراب الذي أراد أن يقلد مشية الطاووس فلا هو أتقنها ولا هو استطاع أن يعود لمشيته !! .

لماذا لا تكون لنا شخصيتنا المستقلة النابعة من ديننا وأخلاقنا وبيئتنا ، إن الغرب تقدمت علومهم ، وانتكست أخلاقهم وفنونهم فلماذا نُصِرُّ على تقليدهم فيما انتكسوا فيه ؟! لماذا لا نقلدهم فقط فيما برعوا فيه من العلوم والمعارف ؟! إن الفنون والآداب وليدة بيئاتها ولا توصف بالتقدم والتخلف بعكس العلوم الطبيعية والرياضية والتكنولوجية .. فلا وطن لها ولا جنس فإذا كان أحمد زويل يطرب لأم كلثوم فلا ضير عليه إنما يضير الإنسان أن يجهل الكمبيوتر ويحفظ أغاني مايكل جاكسون !

– معنى هذا أنك تدين كل الفنون والآداب فكلها مبينة على أفكار ومذاهب فنية أجنبية .

– الدين لا يبيح المنكر ولا يُقِرُّ القبيح ويحارب الفساد شرقيّاً كان أو غربيّاً ، فأهلاً بكل جديد في العلم والتكنولوجيا والفن الهادف ، لكن لا .. لكل فكر منحل لا خلق له أو إباحي لا حياء له أو هادم لقيم المجتمع ودينه .

– إن المتصدي لنقد فن التمثيل مثلاً لابد أن يكون دارساً لفن الإخراج والإضاءة والديكور والتمثيل والحركة ، .. . حتى يتسنى له الحكم على الأعمال الفنية ، ورجل دين يجهل كل هذه الأمور بالكلية .

– معك حق أن أتفق معك إن ليس كل رجل دين بقادر على التصدي لنقد الأعمال الفنية إنما يجب أن يعود ذلك إلى اللجان المتخصصة (الرقابة) لكن على أن يكون لهذه اللجان معايير أخلاقية صادر بها تشريع من مجلس الشعب ومصدق عليه من رئيس الجمهورية حتى لا يترك أمر منع العمل الفني أو إباحته للهوى فيمنع فيلماً يتقد نظاماً سياسيّاً فاسداً ويُجَاز فيلمٌ يدعو للرذيلة ويشيع الفاحشة ! لابد من مقاييس محددة تتفق عليها الأمة ولا يترك الأمر لهوي الفنانين أو الرقابة أو المسئولين أو رجال الدين .

-يبدو من كلامك أنك غير راضٍ عن أي عمل فني .

- الحقيقة أن هنـــاك مسلسلات كثـــيرة ذات مضمون هادف كما أنها في الوقـــت نفسه ذات قيمة فنية عالية جداً مثل المسلسلات سورية التاريخية مثـــل : صـــــلاح الدين ، والظاهر بيبرس ، والحجاج ، وخالد بن الوليد ، وعبد الله بن الزبير وغيرها ،كما يعجبني من المسلسلات المصرية : عمر بن عبد العزيز ، عائلة ونيس ، أبـــو العلا البشري ، هي والمستحيل ، والشهد والدموع ، وإمام الـــدعاة .. وكثيـــر مـــن المسلسلات الدينية والاجتماعية .

-وماذا عن الأفلام ؟

- للأسف إن السينما تداعب منذ نشأتها الشباك كما أنها تستقى موضـــوعاتها مـــن أفلام غربية لذا فهي – غالباً – ما تضحي بالفضيلة في ســـبيل اجتـــذاب الجمهـــور وخاصة من المراهقين والمنحلين أخلاقيّاً وهذه هي الفئات التي تذهب إلى الـــسينما خاصة في العقود الثلاثة الأخيرة ومع ذلك فإن هناك أفلاماً ذات قيمة فنية عالية كما أنها ذات قيمة أخلاقية – وإن كانت لا تخلو من بعـــض الهنـــات – مثـــل : عمـــر المختار ، في بيتنا رجل ، سواق الأتوبيس ، آخر الرجال المحترمين ، خـــرج ولـــم يعد ، العار ، جري الوحوش ، مافيا ، طباخ الرئيس ، عسل أسود ، وغيرها الكثير كما أن معظم الأفلام التي أنتجها التليفزيون المصري كانت أفلاماً جديدة لأنهـــا لـــم تستهدف الربح ولا إثارة الغرائز مثل : فوزية البرجوازية ، محاكمة علـــي بابـــا ، المراكبي وغيرها .

نقد لأشهر أفلام السينما المصرية

وبعد هذا الحوار المتخيل سوف نتناول بعض الأفلام الشهيرة بالنقد الذي أتمنى أن يكون موضوعيّاً .

نبدأ بالأفلام التي حققت أعلى الإيرادات في تاريخ السينما المصرية والتي لا يكف التليفزيون عن عرضها ليل نهار وأشهر هذه الأفلام فيلم "خلى بالك من زوزو" فهذا الفيلم يحاول أن يعلى من قيمة العمل والكفاح ويساعد الطبقات الدنيا على الارتقـــاء في السلم الاجتماعي كما يحاول أن يزيل الفوارق الطبقية ويستبدل بسؤال ابن مـــن أنت ؟ سؤال من أنت ؟ كما يحاول أن يدعم الطبقة الوسطى التي بدأ عودها يـــشتد

لتأخذ مكانها المستحق في المجتمع ، كما يسعى للقضاء على صلف وتكبر الطبقة الأرستقراطية ، لكن المعالجة السينمائية لهذه الأفكار التقدمية لم تكن على مستوى الفكر مما أضر أبلغ الضرر بالموضوع فانتماء البطلة " زوزو " إلى فئة العوالم ، وامتهانها لهذه المهنة المستهجنة من المجتمع أضعف موقفها كما أحرج من يدافع عنها ، أما مشاهد الرقص الخليع فقد قضت على الموضوع تماماً وجعلت المشاهد لا يخرج من الفيلم بفكرة تقدمية تدعوه للتفكير والتأمل ومراجعة أفكاره إنما يخرج بمشاهد مثيرة تدعوه للفساد والانحراف وإثارة الغرائز .

هذا هو الفيلم الذي حقق أعلى الإيرادات عند عرضه سنة ٧٢ هذا هو الفيلم الذي لا يكاد يمر شهر حتى يذاع على إحدى القنوات التلفزيونية المحلية ، فضلاً عن الفضائية ، وهذا ما جعل دعاة الدين يصمون الفنون كلها بالإباحية والفساد ، ويحكمون عليها جميعاً بأنها حرام ، ويحذرون الناس من مشاهدتها ، واكتفوا بهذا الموقف العدائي من كل الفنون ولم يفكروا أو يسعوا في وضع البديل السمين لهذا الفن الغث ؛ فضاعت تحذيراتهم سدى ، وانتصر الفن الهابط ، والفكر الفاسد ، فلا يكفي أن تلعن الظلام بل عليك أن تضيء ولو شمعة ، فأين هو الفن الإسلامي الملتزم البديل ؟!!

لقد اختار الملتزمون الخطابة الدينية ، والكتب الإسلامية ، وأخيراً السياسة والحكم ، واختار كثير من الخلعاء الفنون ، والآداب ، واختار العلمانيون الصحافة ، والإعلام ؛ واختار الناس الفنون ، والإعلام ؛ لأنه غزاهم في عقر دارهم ، ولأنه لعب على غرائزهم وشهواتهم ، ومن اختار الدين من المتنطعين تطرف – إلا من رحم ربى – وهذا هو المجتمع العربي والمصري .

وفي مقابل هذا التطرف الفني الذي يبيح المنكرات هناك تطرف ديني يقف على طرف النقيض فيحرم المباحات !

فإذا جئنا إلى فيلم آخر حقق أيضاً أعلى الإيرادات في السينما المصرية حين عرض سنة ٦٩ إنه فيلم " أبى فوق الشجرة " ذلك الفيلم الذي يحض الشباب على الاختلاط بدون ضوابط بل يحثهم حثاً على الوقوع في الرذيلة ، فبطل الفيلم – عبد الحليم حافظ وهو مطرب محبوب خاصة من الشباب – لم يكتف من حبيبته بالعبث الطائش (خلوة ، أحضان ، قبلات ..) إنما كان يطمع في المزيد فلما لم تستجب له

حبيبته رمى بنفسه في أحضان راقصة بغى وغرق حتى أذنيه في الرذيلة (خمر ، وزنا ، وقمار..) وعندما تأتى حبيبته لانتشاله من هذا المستنقع الآسن يعلن لحبيبته أنه لم يتغير وأفكاره ما زالت كما هي ، وتعلن له حبيبته أنها تغيرت ومعنى هذا أنها على استعداد أن تجاريه في نزواته .

وإليكم نهاية الفيلم .

" عادل : أمال كان مشوار طويل يا أمال لكن أنا ما تغيرتش .

أمال : أنا اتغيرت يا عادل ."

فيطوقها بذراعيه ، وينتهي الفيلم بوابل من القبلات بين عادل وأمال .

هذا هو الفكر الذي يوجه للشاب والمراهقين ، ولقد الحصى المراهقون عدد القبلات في الفيلم فإذا هي رقماً قياسياً لم يحطم حتى الآن !

أفلام اللمبي

وفيلم اللمبى الذي أنتج عام ٢٠٠٢ يعتبر علامة فارقه في تاريخ السينما المصرية من حيث أنه أثر على نوعية الأفلام المطلوبة في السوق وأظهر أن الأفلام التي تنتمي إلى النوع الشعبي هي الأفلام المطلوبة وبكثافة، وقد حقق فيلم أعلى الإيرادات لدرجه أذهلت المنتجين وقد وصل أجر بطل الفيلم لحوالي ٦ ملايين جنيه.

واللمبي شخصية شاب جاهل منحرف بلطجي لا يكاد يفيق من السكر طريقته الوحيد للحصول على ما يريد هي العنف والخروج على القانون والآداب العامة ولكن هذه الشخصية تقدم كنموذج لشخصية الفهلوي الذي يستطيع أن يحقق ما يريد ويحصل على ما يريد مما يجعله مثلاً يحتذى للشباب والمراهقين ، وبعد ذلك نتعجب من شيوع الجرائم وكثرة المجرمين .

وقد تعرض الفيلم للكثير من الانتقادات الحادة من قبل النقاد لسوء وضعف قصة الفيلم والسيناريو وذلك لأنه يكاد يخلو من فكرة رئيسة.

ولقد أصدر د. مدكور ثابت رئيس الرقابة على المصنفات الفنية المصرية قراراً بإيقاف التصاريح لأي فيلم جديد عن شخصية اللمبي. وكانت الشركة المنتجة للفيلم " شركة السبكي للإنتاج " تنوي إنتاج سلسلة أعمال تحمل اسم شخصية " اللمبي" على غرار أفلام الممثل الراحل إسماعيل ياسين. [١]

---

(١) جريدة الشرق الأوسط بتاريخ ٢١ أغسطس ٢٠٠٢م .

ومع ذلك ونظراً للشهرة التي حققها الفيلم والمبلغ الخيالية التي جلبها فقد قدم منه عدة أفلام وهي " اللي بالي بالك " " واللنبي ٨ جيجا " بالإضافة إلى فيلم الناظر الذي ظهرت فيه هذه الشخصية لأول مرة .

كما أن أفلام محمد سعد الأخرى لا تختلف كثيراً عن شخصية اللمبي مثل : عوكل وبوحه وكركر وبوشكاش فقد ظل متمسكاً بمفردات " اللمبي" اللفظية والجسدية

هذه هي الأفلام التي حققت أعلى الإيرادات والتي يقبل الشباب على مشاهدتها وتقليد ما جاء فيها ، إن احتقار دعاة الدين للفنون وتحريمها أعطى الفرصة لأصحاب الهوى أن يسيطروا على أهم وسائل العصر تأثيراً في الناس وكان الأولى بها رجال الفكر الصحيح والخلق الرفيع ، والدين القويم أن يرتادوا هذا المجال .

إن الأفلام – وخاصة القديم منها – لا يكاد يخول بيت رجل ثري أو من الطبقة الوسطى من ركن خاص للخمر " bar " ولا يوجد بطل فقيراً أو غنياً إلا وشرب الخمر أو المخدرات والمفتِّرات فإن لم يكن عند الأزمات فعلى الأقل في ليلة الزفاف، هل هذا ما يعلمونه للناس عند الأزمات بدلاً من اللجوء إلى الله يلجئون إلى الشيطان ، وعند الزواج بدلاً من بدء الإنسان حياته الجديدة بطاعة الله يبدأها بمعصيته وأي معصية إنها أم الكبائر ؟!.

ولا يخلو فيلم من قبلات وأحضان ومشاهد جنسية ، وعرى ، ورقص خليع .

ولا يكاد يأتي برجل الدين إلا في صورة مزرية تدعو على السخرية والاستهزاء.

وإن إقامة الفتاة علاقة تشتمل على خلوة وأحضان وقبلات بمن تحب هي الوسيلة الوحيدة لاختيار الزوج المناسب . وأن الزواج على الطريقة القديمة وهى أن يطرق الشاب الصالح الراغب في الزواج باب بيت رجل صالح ليخطب ابنته التي لم يقم معها بعلاقة غرامية سالفة تخلف وجهل !

نأتي إلى فيلم يعد نموذجاً واضحاً على نوعية الأفلام التي تقدم للمشاهدين في التليفزيون هو فيلم يحبه الكثيرون ويظلون يضحكون على مشاهده الساخرة مدة عرض الفيلم ذاهلين عن مضمونه الحقيقي ورسالته الفاسدة إنه فيلم " الكيت كات " في هذا الفيلم لا همَّ لأبطاله الرئيسيين والثانويين أيضاً إلا ارتكاب الفواحش (زنا ،

وخيانة ، ومخدرات ، وخمر) ولم يظهر بجانب هذه الصور المشينة صورة واحدة لشخصية سوية بعيدة عن الانحراف ، شخصية آمن قلبها بالله وتطور عقلها وفكرها ليستوعب كل حديث وعملت جوارحها لبناء الوطن ورقيه ، لكن الصورة المقدمة لأبطال أفلامنا هي صورة الفاسقين أو المتطرفين فقط ، فماذا يقول من كان على قمة النقد السينمائي والمسئول عن الرقابة أيضاً عن هذا الفيلم : " فيلم داود عبد السيد " الكيت كات " واحد من هذه الأفلام التي تسمو بالإنسان وتعلى من قدره وتحترم طاقاته الخلاقة وتنتزع بالبهجة من أحراش الاكتئاب .. " [١] يخيل إليك أن الناقد السينمائي ورئيس الرقابة يتكلم عن دين سماوي لا عن فيلم سينمائي !! وهل هناك ثمرة ترجى من دين أكثر مما ذكر ؟! ثم يوضح لنا الناقد مقوِّمات نجاح هذا الفيلم فيقول " والنساء عند داود عبد السيد كلهن ضائعات أقرب إلى الخيانة وإن كان الفيلم يلتمس لهن الأعذار والدوافع ولا يحكم عليهن أحكاماً أخلاقية فحين نرى " حلاوتهم " زوجة سليمان الجواهرجي تفتح بابها للرجال وتصل ذروة المأساة بهروبها .. وفتحية زوجة الأسطى حسن " العليل" التي تخونه مع المعلم " هرم " وعواطف الأرملة أم حلاوتهم التي لا تأبه لهروب ابنتها من بيت الزوجية مادامت لم تعد إليها، وتتمنى الخلاص من فتاتيها الأخريين .. ولا تتورع عن الاستجابة لمداعبات الشيخ حسنى بل وتعده بلقاء في اليوم التالي . إن الفيلم رغم البعد اللا أخلاقي في سلوك شخصياته ينظر إليهن برحمة وتفهم لحاجات النفس والجسد وهو نفس الموقف الذي يقفه من الرجال . " [٢]

هذا نموذج لكثير من أفلامنا ، وهؤلاء هم بعض نقاد الفن عندنا ، وأنا لا ألوم هؤلاء فإذا كان المضمار خالياً من العدائين فلا تستغرب أن يفوز بالسباق الكسيح والأعمى .

ونحاول الآن أن نناقش أهم الموضوعات التي تناولتها السينما على مدى تاريخها وخاصة في مراحلها الأخيرة ونتصدى لما جاء فيها لنفتح الباب لمزيد من الكتابات في هذا المجال من أهل الفن الجميل وأصحاب الفكر المستنير ليكملوا هذا المشوار الطويل .

---

(١) على أبو شادي " كلاسيكيات السينما المصرية " الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ٢١٠ .
(٢) المرجع السابق نفسه .

فمن الواجب مناقشة هذه الفنون فكراً بفكر مناقشة هادئة علمية بدلاً من الاكتفاء بوصمها بالفساد دون إقامة الدليل على ذلك مما يجعل هؤلاء يتمادون في غيهم ونحن نتوجه بهذه المناقشة أولاً لجماهير المصريين الساعية إلى الحق المحبة للفضيلة لكنها تتخبط في سيرها بسبب ضباب الزيف والخداع وركام الفكر العلماني، والانحلالي ، ثم نتوجه به إلى أهل الفن وكتابه ونقاده لعل الله أن يهديهم إلى سواء السبيل ويسخروا فنهم لخدمة وطنهم ويجدوا شيئاً نافعاً يقدموه بين يدي الله تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، كما نتوجه به إلى تلك الفئة الصغيرة من الفنانين والكتاب المخلصين الفاهمين لدور الفن في بناء المجتمع ورفعته ، ومحاربة السلبية والفوضى والجهل والرذيلة داعين الله أن يثبتهم على طريق الحق والخير والجمال .

أهم تيمات السينما المصرية

أهم التيمات التي قدمتها السينما هي : الشباب والحب ، المراهقة ، تجارة الرقيق الأبيض ، المحلِّل ، الانتقام ، الجنس كمحرك لأفعال الإنسان ، الإدمان ، تجارة المخدرات ، العاهرة الطيبة (البريئة) ، الاغتصاب ، التفريط في العرض للفوز بمن تحب . الحموات الشريرات .

وإليك بعض عناوين الأفلام لبيان أهداف القائمين على صناعة السينما : بنات إبليس ، بنت الهوى ، بنت حظ ، امرأة سيئة السمعة ، امرأة قتلها الحب ، امرأة من نار ، امرأة واحدة لا تكفي ، أحب الرقص ، إغراء ، ألف بوسة وبوسة ، اغتصاب، الأنثى والذئب ، الجسد ، الحب الحرام ، المراهقات ، المغتصبون ، مذكرات مراهقة ، امرأة لكل الرجال ، وكر الملذات ، الأحضان الدافئة ، حب المراهقة ، حالة مراهقة ، المراهقون الثلاثة ، درب العوالم ، كيد العوالم ، دلع البنات ، درب الهوى ، ديسكو ديسكو ، رغبات ممنوعة ، زوجة لخمسة رجال ، سوق النساء ، شوارع من نار ، سوق المتعة ، شلة مراهقين ، صائد النساء ، عبيد الجسد ، هي والرجال ، عشاق تحت سن العشرين ، عشرة بلدي ، نساء وذئاب ، نساء ضائعات ، فتاة شاذة ، لهيب الجسد ، نساء الليل .

وهذا ليس معناه أن غير هذه الأفلام أفلام تقدم الفضيلة إنما معظم الأفلام – مع الأسف – تدعو إلى الانحراف والرذيلة وتثير الغرائز وإن كانت يهدف بعضها – أحياناً – إلى قيم نبيلة .

حتى الأفلام الدينية فكلها نمطية صبت في قالب واحد فهي تبدأ بمشاهد لعبادة الكفار الأصنام ، وتركز في هذه المرحلة على ألوان الفجور بطريقة صريحة مباشرة مثيرة من خمر ورقص وعرى وشذوذ ، ثم تعرض لنا ألوان التعذيب ، وهى دائماً الصلب على جذوع النخل والجلد بالسياط ، والكي بالنار ، والسحل على رمال الصحراء الحارقة ، ثم تعرض لنا بعض مشاهد من الغزوات والقتال وجثث القتلى والدماء والأشلاء ، وينتهي الفيلم بنصرة الإسلام عسكريّاً وهزيمة الكفار ، صورة كربونية واحدة مما جعل هذه الأفلام مملة ومنفرة ، لكن أن تبين هذه الأفلام – بفنية – جوهر دعوة الإسلام وكيفية علاجه لكل مشاكل العصر ، وأن تقدم صور صادقة للإيمان الحقيقي والخلق القويم ، وصور عميقة للبطولة العربية وأخلاق المسلمين مع أهل البلاد التي فتحوها .. فهذا ما لا يفكر فيه أهل هذه الصناعة بل ربما يتعمدون البعد عنه .

تيمة المحلّل .

ومن التيمات المخالفة للدين والأخلاق تيمة المحلِّل وهو الشخص الذي يتزوج بامرأة طلقت ثلاثاً ليحلها لزوجها رغم أن هذا ليس زواجاً شرعيّاً وإنما هو الزنا المحرم فإن أحد شروط صحة الزواج أن يكون الزواج بنية التأبيد أي عدم تقيده بوقت ينتهي فيه فإن قُيِّدَ الزواج بوقت فهو زواج باطل إلا أن السادة الفنانين أغرموا بهذه التيمة مؤكدين أنها طريقة مشروعة لإعادة الزوجة إلى زوجها مما ترتب عليه انتشار هذه الظاهرة بين الناس !!

ففي فيلم " زوج تحت الطلب " يسأل البطل – عادل إمام – المأذون هل هذا العمل حرام ؟ فيرد عليه قائلاً : لا إنما هو مكروه ، ويسأل البطل : يعنى إيه ، فيرد عليه المأذون إنه كالطلاق حلال لكنه مكروه !!

مع أن هذا النوع من الزواج من الكبائر لحديث النبي .

فعن عبد الله بن مسعود قال: " لعن رسول الله ﷺ المحلِّل والمحلَّل له "

(رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه)

وأخرج الحاكم والبيهقى عن نافع قال: جاء رجل إلى ابن عمر فسأله عن رجل طلق امرأته ثلاثاً فتزوجها أخ له من غير مؤامرة منه ليحلها لأخيه هل تحل للأول ؟ فقال: لا .. الإنكاح رغبة، كنا نعد هذا سفاحاً على عهد رسول الله ﷺ " .

فإذا حدث ، وكثيراً ما يحدث ، أن طلق رجلاً زوجته ثلاثاً فإنه يأتي بمن يحللها له فهذا ما تعلمه من الأفلام والمسرحيات أنه حلال !!

فإذا جئنا إلى صورة رجل الدين الإسلامي فإنها تقدم بطريقة ساخرة تدعو للضحك لما يقوم به من تقعر في اللغة وغرابة في اللفظ وفي إهانة رموز الدين إهانة للدين نفسه ، حتى إذا ما ظهر بعض المتطرفين وجد الفنانون أن الفرصة قد سنحت لوصم كل متدين بالإرهاب وانهالت – وما زالت – الأفلام والمسرحيات والتمثيليات التي تحارب التدين والمتدينين عموماً ، وبالقطع نحن لسنا مع الإرهاب إنما نحن مع التدين المعتدل الذي لا أثر له فيما يقدم من أفلام .

تيمة الإرهابي

فإذا جئنا إلى أشهر فيلم قُدِّم عن الإرهاب نجد أنه يعرض صورة المتدين في أبشع صورة فهو شهواني ، متسلط ، متخلف ، جاهل ، سفاح ، وفي المقابل يطرح الفيلم البديل لهذا التدين – كما في فيلم الإرهابي – أسرة تتكون من أب وأم وثلاثة أبناء فإذا نظرنا إلى الأبناء وهم النموذج المحتذى به المقابل للشاب المتطرف الإرهابي نجد أن الابن شيوعي ويعلق في حجرته صوراً لرموز الشيوعية ، ولا يتورع عن شرب الخمر ، والابنة الكبرى فتاة رومانسية حالمة تقع في غرام الإرهابي – الذي تجهل حقيقته – لمجرد قراءتها للأشعار والكتب التي في الحقيبة التي وجدت معه وهى لا تلتزم بأي سلوك ديني معتدل في ملبس ولا في أداء العبادات المشروعة ، أما الابنة الصغرى فهي فتاة منحلة أخلاقيا وسلوكيّاً وهى نموذج لفتاة غربية لا علاقة لها بالإسلام ولا بشرعه ولا علاقة لها بأخلاقيات الشرق ، فإذا جئنا إلى الجار المسيحي فإنه نموذج للرجل الطيب الودود الشهم والعجيب أن هذه النماذج تقدم كبديل لنموذج المسلم المتطرف فإن كان بطل الفيلم متطرفاً حقاً فإنه يمثل فئة صغيرة جداً لا تذكر من مجموع المسلمين المتدينين الحقيقيين الذين يخافون الله أما النماذج المقدمة كبديل فهي نماذج متطرفة فكريّاً وسلوكيّاً .

حتى النقاد الفنيون لا يعجبهم طريقة معالجة التطرف الديني بتطرف خلقي تقول إحدى الناقدات عن فيلم الإرهابي :

الوصفة السينمائية لما سوف يأتي من أفلام في هذه المرحلة الزمنية التي نعيشها، تضع ظاهرة الإرهاب على قائمة العناصر التي تعتمد عليها تركيبة الفيلم . سوف تمتلئ الشاشة يقيناً بممثلين يطلقون لحاهم ويضعون أغطية فوق رءوسهم وينطقون بلغة عربية فصحى فتتحول لغتنا الجميلة إلى وعاء لقيء من أفكار ينزلق بسببها جماعات يتحول أفرادها إلى قتلة ينفذون جرائمهم مع سبق الإصرار والترصد ويملئون الشاشة بالدماء . . أدعو الله ألا تتحول الظاهرة التي ابتلينا بها على مسرح الواقع إلى تجارة يبيعها لنا السينمائيون على الشاشة وها هي السينما تقدم "الإرهابي" الذي يقوم ببطولته الفنان الظاهر عادل إمام وعلى عكس أفلامه السابقة يسقط البطل مع نهاية الفيلم صريعاً وبرصاص زملاء التنظيم الإرهابي وبرصاص جنود الأمن الذين يطاردونه .

وفي الوصفة الفيلمية التي ميزت الإنتاج السينمائي في مراحل سابقة ، كان العنف الفردي واللجوء إلى الساطور والبندقية لحسم الصراع ، من بين العناصر الضرورية في التوليفة السينمائية، وكانت إرادة البطل الفرد هي التي تحسم الصراع، وليس القانون ولا المكلفون بالدفاع عنه ، وكانت مظاهر الفساد السياسي والاجتماعي هي المادة التي تعتمد عليها حبكة الفيلم. باختصار لم يكن القانون هو الحل في التصدي لهذه المظاهر وإنما القتل والتصفية الجسدية للظلمة الفاسدين الشيء الذي يبشر بالفوضى ويمهد للإرهاب الذي نعانى منه الآن .

وفي فيلم " الإرهابي " البطل فقير ومحروم لكنه مضلل يمتلئ عقله بأفكار تحوله إلى أداة هدم وتخريب وإرهاب لكنه تاب وكفر عن خطيئته وأعلن براءته أمام أفراد العائلة التي أوته وأحبته وضمته إلى " واحتها " وارفة الظلال بعد أن يتخلص من مرارته . . يقدم الفيلم " عائلة " يعيش وسط أفرادها (الإرهابي) بعد أن ينتهي من بعض مهامه الإجرامية التي حددتها له (الجماعة) . . عائلة طبيب ثرى يعيش داخل فيلا جميلة مع أبنائه الثلاثة وزوجته . وكل واحد من هذه الأبناء يمثل اتجاهاً بعينه: محسن (إبراهيم يسرى) مهندس الديكور اليساري وفاتن (حنان شوقي) الفتاة (المودرن) وسوسن الرومانسية. . الأول يعلق على جدران حجرته صورة "جيفارا" أحد أهم الأبطال الثوريين في القرن العشرين ولينين الزعيم الروسي قائد الثورة البلشفية ١٩١٧ ومؤسس الاتحاد السوفيتي ، والذي يحمل اسمه مؤلف الفيلم . .

والثانية تعشق مادونا المغنية الأمريكية رمز الجنس ومعاداة كل القيم وعلى رأسها القيم الدينية والأخلاقية ومايكل جاكسون المغنى الأسود مغتصب الأطفال وعمرو دياب مطرب الأغنية الشبابية الحديثة والثالثة سوسن التي كانت قد صدمت الإرهابي بسيارتها وأتت به إلى فيلتها كي يعالجه والدها الطبيب فهي رومانسية "محلية" تحب عبد الحليم حافظ وعبد الوهاب وأم كلثوم ، صاحبة صوت حالم وعيون " ناعسة " أسرة ليست نموذجاً بأي حال لأسرة مصرية عادية كتلك التي هبط عليها الشاب الوطني الثائر في قصة إحسان عبد القدوس (في بيتنا رجل) ؟ إنها أسرة بلا مشاكل رغم أن كلاً من أبنائها يمثل " إشكالية" خاصة ، وبالذات شخصية فاتن فتاة الجامعة الأمريكية وممثلة الإعلانات التي تبدو مسخاً سخيفاً بسلوكها ومكياجها وملابسها استحضر حوارها مع (الإرهابي) ومسامرتها له وتعليقاتها بينما يلعبان الورق (الكوتشينة) ثم ثورتها ضده ثورة عامة عندما يتبسط معها يمد يده إلى ساقها العارية في مقدمة لإيذائها جسديّاً ، هذه الثورة تبدو مفتعلة وغير مقبولة أو مقنعة . أيضاً شخصية سوسن التي تنبهر بشخصية (الإرهابي) ظناً منها أنه أستاذ فلسفة ومؤلف أشعار رومانسية فضلاً عن كونه شخصاً حزيناً ورقيقاً ومن ثم تحبه وتتودد إليه وتجلس أمامه كي تحلق له ذقنه ثم تتحسس بأناملها وجهه، تمسحه بالعطر أو تطبع قبلة فوق خده، المفروض أنها بريئة ورقيقة ! هذه وغيرها سلوكيات ليست دارجة ولا هي من أصول الأعراف ولا التقاليد الخاصة بالفتاة المصرية العصرية والمتعلمة ، ولا هي ، وهذا هو المهم ، تمثل العوامل القوية التي تسهم في تغيير " أيديولوجية " الإرهابي التي تدفع به إلى القتل والسطو وإباحة أعراض وأموال المسلمين " الكافرين " !! فالنهاية في الفيلم نهاية تخيلية تدخل من باب الأمنيات والأحلام المستحيلة " [1]

قضية عادل إمام

أصدرت محكمة الجيزة يوم ٢٤ / ٤ / ٢٠١٢ حكمها علي الفنان عادل إمام بالسجن ثلاثة أشهر مع الشغل والنفاذ كما قد كلفته بكفالة قيمتها ألف جنيه مصري.

وكانت التهمه الموجهة إلى عادل إمام أنه قد قام في مشواره الفني بأعمال يسخر فيها من الدين الإسلامي واللحية والنقاب وهذا الحكم قد جاء من دعوى قضائية قدمها ضده أحد المحامين منذ عام ٢٠١١ .

---

(١) " موسوعة سينما العرب " اسطوانة ليزر " CD " شركة صخر لبرامج الحاسب .

وفور صدور هذا الحكم ثار الفنانون والعلمانيون من المثقفين وأعضاء اتحاد الكتاب والإعلاميون والنخب السياسية ضد هذا الحكم وطالبوا عدم الحجر على حرية الإبداع وعدم المساس بحرية الفنان في تقديم ما يشاء ، ونددوا بهجمة التيار الإسلامي على الفن والفنانين ، وتسابق كبار المسئولين في التيار الإسلامي إلى الدفاع عن حرية الفن والفنانين !!

وأعلنت نقابة المهن الفنية تضامنها مع الفنان عادل إمام، ضد حكم حبسه بتهمة ازدراء الأديان، وأصدرت بياناً جاء فيه : " تدين نقابة المهن الفنية الحكم الصادر ضد الفنان عادل إمام، وتعلن استمرار تضامنها معه في قضيته من أجل البحث عن حرية الإبداع الفني، خاصة في ظل الأوضاع السياسية السيئة، التي تمر بها مصر حالياً، في سابقة هي الأولى من نوعها في الوسط الفني، رغم احترامنا لأحكام القضاء المصري ".

ودعا مجلس إدارة النقابة كل شرفاء الوطن من مثقفين وفنانين وغيرهم للتضامن مع الفنان عادل إمام في قضيته، والمطالبة بإصدار تشريع يحمى الفكر والفن وحرية الإبداع.

وأعلنت النقابة انضمامها للمسيرات الاحتجاجية السلمية «حتى لا يتم تخويف المبدعين باسم الدين، وحتى لا يتم محاسبة الفنان سواء ممثل أو مؤلف أو مخرج، على آرائه السياسية والاجتماعية، لأنها في المقام الأول أعمال فنية تخضع لقانون الرقابة على المصنفات ."

وهددت النقابة بالدعوة لاعتصام مفتوح لجمع العاملين بالحقل الفني، في حالة تنفيذ الحكم على عادل إمام، أو إصدار أحكام تقيد حرية الفكر على أي فنان آخر، " حتى لا تفرض على الفن قيود باسم الدين ."

وفي سياق متصل، أعلنت لجنة الحريات باتحاد الناشرين المصريين تضامنها الكامل مع الفنان عادل إمام، واستنكرت ما سمته " التهم المرسلة " التي وجهت إليه من خلال الأعمال الفنية، التي تقمصها– حسب خيال مؤلفي هذه الأعمال . [1]

ونظم اتحاد الكتَّاب وقفة احتجاجية أمام مقر الاتحاد بالزمالك تضامناً مع عادل إمام وحرية الإبداع .

---

(١) جريدة المصري اليوم بتاريخ ٢٠١٢/٤/٢٦

وتبارت القنوات الفضائية في مناقشة الموضوع واستضافة الفنانين والمثقفين العلمانيين للحديث في هذا الموضوع .

ومع ذلك فقد أيدت محكمة الاستئناف الحكم السابق بسجن عادل إمام بسبب تهمة ازدراء الإسلام .

والحقيقة إن المتأمل في هذه القضية ليستولي عليه العجب فإن الفنانين والمثقفين العلمانيين الذين لا يكفون ليل نهار عن ترديد المطالبة بالحفاظ على مدنية الدولة واحترام الدستور والقانون ، واتهام التيار الإسلامي بالعمل على إقامة دولة دينية هؤلاء وأولئك هم من انقلب على الدولة المدنية والدستور والقانون ، أليس في الدولة المدنية من حق أي إنسان أن يرفع دعوى على آخر إذا بدر منه ما يسيء إليه أو إلى معتقده ؟ والقضاء المستقل الحر يفصل في الدعوى ، ومن الحق المتهم الاستئناف والنقض لكن ليس من حقه أو من حق غيره التعليق على أحكام القضاء .

ولكننا فوجئنا بدعاة الدولة المدنية يعلقون على أحكام القضاء بل ويتظاهرون ضدها، ويهاجمون التيار الإسلامي بدعوى فرض أفكارهم الرجعية على الفن مع أن التيار الإسلامي لم يرفع الدعوى ، والتيار الإسلامي لم يصدر الحكم ، إنما الذي أقام الدعوى محام لا ينتمي لجماعة دينية إنما أحس بأن بعض أفلام عادل إمام تسيء إلى الدين الإسلامي دين غالبية الشعب المصري وكأي رجل متحضر لم يلجأ إلى العنف والإرهاب بل لجأ إلى القضاء ، والقضاء هو الذي أصدر الحكم ،ففيم أخطأ الرجل ؟ ولماذا ثار هؤلاء ضد التيار الإسلامي ؟! إلا إذا كانت ثورتهم لهدم الدولة المدنية بإرهاب القضاة والاعتراض على أحكامهم ، وعدم الالتزام بها .

ثم هل هذه هي أول دعوى تقام ضد عادل إمام ؟

والحقيقة أنه أقيمت ضده دعوى سنة ١٩٨٣م أقامها ١٥٠ محامياً بسبب فيلمه "الأفوكاتو" وطالبوا بوقف عرض الفيلم وحصولهم على تعويض مؤقت ١٠١ جنيه، لأن الفيلم يصور رجال القضاء والمحاماة – وليس الإسلام ! – بصورة غير لائقة ويصفهم بأنهم مرتشون وأفاقون وأن الفيلم يسيء إلى سمعة مصر ووصلت القضية إلى القاضي مرتضى منصور وشاهد نسخة الفيلم ، وأصدر وقتها حكماً بحبس كل من رأفت الميهى المخرج وعادل إمام بطل الفيلم سنة مع الشغل وكفالة عشرة آلاف جنيه .

وكان القرار من كبار المسئولين في العهد البائد بوقف تنفيذ الحكم، وهنا أعلن القاضي مرتضى منصور استقالته من منصبه كقاضي في واقعة غير مسبوقة من على منصة القضاء وقبلها كان قد أرسل استقالته إلى كل الصحف. احتجاجاً على عدم احترام قدسية المهنة .

ونحن على أعتاب الجمهورية الثانية لا بد أن نقرر مبادئ حاكمة يجب أن يلتزم بها كل الناس : حكاماً ومحكومين ، فنانين وغير فنانين إعلاميين وغير إعلاميين أن حرية الرأي والفكر والإبداع مكفولة لكل الناس لكن دون ازدراء دين أو هجوم على أشخاص وطنيين أو الإضرار بمصالح الوطن والمواطنين ومن تجاوز ذلك من أي الفئات فمن حق من وقع عليه الضرر اللجوء إلى القضاء ، ويجب أن ينصاع الكل لأحكام القضاء .

ولا ينبغي أن يستثنى من هذا أي فئة أو جهة أو طائفة أو مهنة فالقانون يجب أن يخضع له الجميع ، لكن إذا أساء إنسان إلى مقدس أو أخطأ في حق غيره أو في حق المجتمع يقدم إلى المحكمة فإن كان فناناً أو أديباً أو إعلاميّاً أو من رجال النظام فيترك لنقابته أو مؤسسته الحكم عليه فهذا إخلال بميزان العدل فينبغي أن يكون الكل أمام القانون سواء .

تيمة الاغتصاب .

نأتي إلى تيمة أخرى وهى الاغتصاب فإذا وقعت جريمتا اغتصاب لفتاة المعادى ، وفتاة العتبة – وإن أظهرت النيابة بعد ذلك براءة المتهم فيها – فإن أهل الفن وجدوا ضالتهم في هاتين القضيتين فراحوا ينتجون الأفلام التي تتحدث عن الاغتصاب وليتهم عالجوا هذه الظاهرة علاجاً يبغض الناس فيها وليتهم عرضوا هذه القضية عرضاً فنيّاً بعيداً عن الإثارة لكن للأسف فإنهم قدموا صورة الاغتصاب في شكل مثير يروج له ولا يحذر منه ، وهذا ما يذكرنا بالأبحاث التي كشفت أن تناول الأفلام لموضوع المخدرات وتجارها قد ساهم في رواج المخدرات بدلاً من التنفير منه !!

وإليكم رأى أحد نقاد الفن لفيلم اغتصاب نقدمه لكم من باب " وشهد شاهد من أهلها ".

أمامي نموذج لسينما الثمانينات الرديئة – فيلم اغتصاب – حيث تتشكل تركيبة ليست متجانسة أو مقبولة من عناصر الدين والجنس والعنف . تلك الخلطة المحفوظة التي تشكل بدورها جانباً كبيراً من صناعة أفلام الثمانينات بعد أن تراءى في الأفق الاجتماعي الجنوح إلى الدين كمهرب وملاذ من أزمة اقتصادية وأخلاقية طاحنة .وحيث يطفو فوق التيار شخصيات لا تهرب من أزمة وإنما تستغلها وتحولها إلى فرصة للمغانم باسم الدين ، وحيث يشذ بعض الهاربين من الفتك الاجتماعي فيصلوا بهذه النزعة إلى حد التطرف وقد يلجأ آخرون منهم إلى العنف لفرض وصاية ليست مشروعة ولا علاقة لها بالدين في شيء . . وكالعادة تأهبت السينما بعد أن فتحت لها الإشارة ورأت النور الأخضر للانقضاض على الظاهرة الدينية من ناحية وعلى ما أفرزته مرحلة القلق الاجتماعي من بعض مظاهر عنف أخذ أشكالاً متعددة كالاغتصاب أو قتل الأزواج من ناحية ثانية . . وبالأسلوب الاستهلاكي شديد السذاجة والفجاجة قدمت هذه السينما إنتاجها من الأفلام التي تجدها أحياناً تتملق الظاهرة الدينية وتتساق وراء أيديولوجيين ينتمون إليها وتتملق السلطة بتقديم أشكال شائهة ومنفرة من تجار الورع الأفاقين والمنافقين والاستغلاليين في أفلام عن توظيف الأموال وعن حوادث الاغتصاب وعن تجارة المخدرات إلخ وامتلأت الشاشة بالمحجبات ولم تتخل عن الداعرات وسالت الدماء ولم ينس المنتجون صوت الآذان والذين يتزاحمون لأداء الصلاة ولم يخرج من بين هذه البضاعة الاستهلاكية سوى عدد محدود جداً من الأفلام التي يمكن أن تنتزع عنها صفة الزيف والاتجار في أوجاع الناس وأمراض المجتمع التي يعانى منها . قطار الملذات وفيلم " اغتصاب " من الأفلام التي ترى في الدين علاجاً من العنف والأزمة الجنسية والنفسية تعتبره تعويذة تصون صاحبها من المغتصبين والنصابين وربما كان لوجهة النظر هذه احترامها لو جاءت في سياق مقنع وصادق . . لكن الفيلم يصل إلى واحة الدين مستخدماً قطار الملذات الحسية الحيوانية، وقبل أن يهدئ الغرائز بذكر الله وتقواه يكون قد شعللها لسيقان النساء ومؤخرتهن وقبل أن يهيئ العقول لفهم الدعوة الدينية الهادئة والعميقة التي تتجسد في مشهد الجامع والشيخ الجليل الذي يهتدي بكتاب الله عز وجل يكون قد طمس عقول المتفرجين واحتقرها بأحداث ومواقف ومثيرات لفظية وبصرية تفترض تخلفهم وتجردهم من

أي حس أخلاقي .. ولو كان الدين مجرد صلاة ولحى وذقون ودعوات تتم في لحظة ضعف أو شعور بالحاجة لكان مجتمعنا الآن في ازهي حالاته وأكثرها سمواً .. ويكفي النظر إلى كل هذا الحشد المهول من المصلين الذي يملئون شوارع العاصمة ومدن البلاد وقراها حتى نطمئن ونعتقد أننا أقمنا بالفعل مدنا فاضلة عامرة بالإنتاج من عرق أبناء الوطن المخلصين وظاهرة خالية من تجار المخدرات وحوادث الاغتصاب وعمليات السطو على أموال الناس وشراء ذممهم إلى هذه البضاعة التي تبيعها السينما في الأفلام التي تتاجر بالغرائز وتستفز المشاهد وتحبب إليه العنف وتسليه بمشاهد العرى وأجساد النساء ثم تهمس له بموعظة كاذبة في النهاية " اغتصاب ومغتصبون " و " اغتصاب " مثل المغتصبون إعلان صريح عن ركوب موجة الجنس المرضى العنيف ، وهو إعلان موجه للجمهور لتشجيعه يقول مدير السينما التي تعرض الفيلم : كثير من المتفرجين يأتي لاسم الفيلم لكنهم يخرجون بعد العرض غاضبين ! غاضبون لأن الفيلم أقل إثارة وسخونة من قرينه المغتصبون مع أن الاثنين يوضعان في سلة واحدة كبضاعة تنتمي إلى مصنع واحد . . الفارق يكمن في قوة التركيبة .والذي لا أتصوره أن يعتقد كتاب هذه الأفلام ومخرجوها أنهم يقدمون شيئاً ذا قيمة تتجاوز فكرة التسلية بالطريق الخالية من الذوق أو الجمال مع أن العقد المبرم بين صانع الفيلم ومتفرجة صريح للغاية ومعلنا عنه في اختيار العنوان وفي الصورة المرسومة على الإعلان . ضوافرها هرشت مخى ويحاول فاروق سعيد كاتب الفيلم أن يضاهى كتاب الحوار عندنا (شريف المنياوى – مصطفي محرم – وحيد حامد – ومحمود أبو زيد) إلخ هؤلاء المولعون بصك لغة حوار فيلمي خاصة جداً لا علاقة لها بلغة أبناء البلد ، ولا بلغة الفتوات أو رواد الغرز والمواخير ولا بتلك اللغة المتداولة بين الناس العاديين في الشوارع والأسواق ، ربما كانت هلوسة مساطيل غابوا بالفعل عن الوعي .. وأعتقد أن هذا النوع من الإنتاج السينمائي تتحول المشاهد فيه إلى مجموعة من النمر المستقلة مجرد تمثيليات فكاهية قصيرة تسلى المتفرج لا يهتم فيها المخرج أو السيناريست بعنصر البناء والمتكامل للعمل الفني الذي يعتمد على لغة الصورة وارتباطها العضوي بما سبقها وما يلحق بها من صور وبالتالي فالبناء هنا يبدو مهلهلاً رغم عنصر التوليف الجنسي إذا صح التعبير والانتقال من صورة

حسية لسيقان امرأة مثلاً إلى صنبور مياه له مدلوله الجنسي إلى صور نساء معلقة على الحائط وشاب يرقد تحتها إلخ فربما كان هذا هو الخيط الممتد الذي يربط بين بعض هذه النمر.. وقس على هذا باقي مشاهد الفيلم بدءاً من البداية داخل أتوبيس النقل العام إلى مشهد ورشة الميكانيكا إلى جراج السيارة والسايس المهووس بأجساد النساء إلى مشهد السيارة التي تحمل المسافرين إلى البدرشين وسائقها الحشاش وكل هذه المشاهد التي يتحول فيها الناس العاديون إلى أوغاد أمام بلطجة النصاب وينهزم الصوت الوحيد العاقل أمام ضربات رفاق المواخير والغرز وتصل بنا إلى نهايات سعيدة ساذجة مشاهد لا يدعمها سياق مقبول أو تشخيص مقنع للشخصيات أو عنصر إقناع من أي نوع كان فكريّاً أو بصريّاً أو سمعيّاً . (١)

تيمة البغاء وتجارة الرقيق الأبيض .

إما تيمة البغاء أو تجارة الرقيق فإنها من الموضوعات الأثيرة لدى صناع السينما، وهى إما تجعل المشاهد يتعاطف مع الساقطات لأن ظروف المجتمع قد أجبرتهن على احتراف هذه المهنة ، أو تجعل المشاهد مفتوناً بهذا العالم ويسعى لدخوله وعدم الاكتفاء فقط بمشاهدته .

وإليكم ما كتبه أحد النقاد الفنيين عن فيلم يمثل هذه النوعية من الأفلام وهو فيلم "سوق النساء " :

قضية مستهلكة القصة ملفقة عنوان الفيلم مدخل مادته الموضوعية : " سوق النساء " بقول آخر : تجارة الرقيق الأبيض . وبتعبير أكثر تجارية : الدعارة وبصراحة أكثر وأكثر " الجنس أقدم مهنة في التاريخ . . أحد الموضوعات المحببة الرائجة والشائعة منذ بداية اختراع السينما وحتى الآن ! وفي كل عصر من العصور يأخذ هذا الموضوع أبعاد الزمن الذي يدور فيه ، ويكتسي بالثوب "الموضة" الذي يرضى مزاج المستهلك .. لقد فاجأنا المخرج المؤلف بأن بطله الذي يتاجر في أجساد الجميلات وتصديرها إلى المغرمين بهذا الطبق الشهي ، مريض نفسيّاً ويعانى من تشوهات خلقية وأن وجهه الوسيم أقرب إلى وجه الشمبانزى. وقصة الفيلم تقدم محررة حوادث تفاجأ أثناء تغطية حادث انتحار إحدى الفتيات بأن

(١) " موسوعة سينما العرب " اسطوانة ليزر " CD " شركة صخر لبرامج الحاسب .

الشابة المنتحرة ليست سوى شقيقتها الصغرى ، وتفهم من تحقيقات البوليس أن للجريمة علاقة وطيدة بنشاطات منافية للآداب . وبينما تدفع هذه الشابة محررة الحوادث ثمن انتحار شقيقتها والسمعة السيئة التي لحقت بها وبالأسرة عموماً ، نجدها تصر على مواجهة هذا كله باقتفاء أثر المجرم الذي دفع شقيقتها إلى هذه النهاية ، مستخدمة سلاح الجمال ، والجسد أيضاً لإيقاعه ومن ثم تسليمه إلى مصيره فالغاية إذن تبرر الوسيلة ، ولا بأس من اعتماد المؤلف في توليفة لأحداث الحبكة رغم موضوعها المستهلك إلى كل الأساليب التي تحول المحررة الصغيرة إلى غانية شريفة .[١]

تيمة المراهقات

تاريخ السينما حافل بتيمة المراهقات ليس على مستوى التناول فحسب بل على مستوى عناوين الأفلام التي استنفدت جميع كلمات مادة " رهق " وإليك ثبتاً ببعض أسماء هذه الأفلام : المراهقون ، المراهقات ، المراهقون والمراهقات ، المراهقة ، المراهقون الثلاثة ، حب المراهقة ، حالة مراهقة ، مذكرات مراهقة .. ولماذا هذا الإصرار على هذا الموضوع ؟ ليس بالطبع الهدف هو معالجة هذه المرحلة العمرية الخطيرة في عمر الإنسان ومحاولة عبورها بسلام ، إنما ببساطة إن هذا المصطلح إذا وضع عنواناً على فيلم فإن معناه مجموعة من الفتيات الشابات الجميلات الفاتنات غير المستهلكات سيقمن بمغامرات مليئة بمشاهد الحب والجنس والحركات المثيرة فلا هدف – في نظر أصحاب هذه الأفلام – للمراهقات إلا كل ما يتعلق بالحب والجنس والإثارة وهى مادة محببة لرواد السينما من الجنسين خاصة إذا كان من يقوم بهذه الإثارة شباب صغير السن رشق الجسم بهى الطلعة .

وإليكم هذا التحليل الفني لفيلم من هذه النوعية الموجهة للشباب والمراهقين وهو فيلم " ديسكو ديسكو " .

مشكلة الفيلم " الهادف " أنه يلجأ إلى تحقيق هدفه باستخدام العناصر ذاتها التي يزعم صانعوه إدانتهم لها فتكون النتيجة عمل زاعق النفاق يروج للرذيلة بينما يدَّعي الذود عن الفضيلة ! ! وفيلم " ديسكو . . ديسكو " من هذا النوع سواء وعى

(١) " موسوعة سينما العرب " اسطوانة ليزر " CD " شركة صخر لبرامج الحاسب .

obeikandl.com

صانعوه هذه الحقيقة أم لا ... توافرت للفيلم مشاهد لمناظر الرقص داخل صالة الديسكو مصحوبة بحركات الشباب الصاخبة والمجنونة على اعتبار أنها مظاهر سلبية لحياة الشباب وفي نفس الوقت عناصر ترفيهية للمتفرج على الفيلم مع أن الحقيقة التي أغفلها الفيلم هي أن الولع بهذه الموسيقى المستوردة جاء وانتشر مع ثقافة التهجين وعمليات التغريب المتصلة التي تدخل ضمن عواملها المنشطة هذه المدارس التي تدار بواسطة " مسز فلانة " أو " مسز علانة " أيا كان الاسم . وهذا الاستخدام النفعي المزدوج ينطبق أيضاً على أسلوب التناول لعناصر الجنس الطبيعي والمنحرف – والعنف بأشكاله فإذا أضفنا إلى ذلك كله الفهم القاصر في تصوير الفيلم لشخصية المتطرف " حسنين " برغباته الحيوانية إزاء النساء وتعامله مع شقيقته كأنثى " كافرة " تستحق القتل لاكتشفنا قصور الفيلم نفسه في معالجة هذه الظواهر العديدة بصورة مقنعة ومنطقية وربما اقتنعنا أيضاً أنه كما يقول المثل الشعبي " العيار اللى ما يصبشى . . يدوش ."[1]

تيمة الفتوة .

التوليفة السينمائية لهذه التيمة هي إرادة البطل الفرد هي التي تحسم الصراع ، وليس القانون ولا المكلفون بالدفاع عنه . وهى من التيمات الشهيرة في الأفلام التي تدعم البلطجة والعنف فلكي تحقق ما تريد فعليك أن تملك القوة البدنية لإخضاع الناس لاحترامك والانقياد لك ، يقال هذا لنا بدلاً من تعليم الناس أن القوة الحقيقة هي قوة الإيمان ، وقوة الأخلاق هذه القوى البناءة التي يتفاضل بها الناس { إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ } (الحجرات : ١٣) مما يدعم مقاييس الحق والخير والجمال في المجتمع بدلاً من تدعيم قيم البلطجة والفتونة ، ولا يوجد فيلم إلا والبطل فيه يستخدم القوة في الحصول على ما يريد أو لمواجهة أعدائه .

تيمة الانتقام

وهى من أشهر التيمات في السينما المصرية وهى تسير على نمط واحد البطل رجل طيب لكنه يغدر به فيقرر الانتقام ممن غدروا به ويتحول بقدرة قادر إلى سفاح معتاد الإجرام ولا يترك الأمر لولى الأمر ليأخذ له حقه وهى تيمة تعود بنا

---

(١) " موسوعة سينما العرب " اسطوانة ليزر " CD " شركة صخر لبرامج الحاسب .

إلى العصر الجاهلي حيث عادة الثأر والتي أتى الإسلام ليبطلها و يضع أمر القصاص بيد ولي الأمر وليس للمعتدى عليه { وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } (البقرة : ١٧٩) { وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ } (المائدة : ٤٥)

ومثال ذلك : أمير الانتقام ، ورصيف نمرة خمسة ، وأمير الدهاء ، ودائرة الانتقام ، والظالم والمظلوم ، واحد من الناس .. وهذه الأفلام – وغيرها كثير – مأخوذة عن قصة فرنسية لإسكندر ديماس هي " الكونت دي مونت كريستو "

أما الانتقام بالنسبة للمرأة فيأخذ شكلاً آخر هو شكل المكر والدهاء فإذا غُدِر بالمرأة فإنها تقوم بالتمثيل على من غدر بها وتوهمه بأنها تحبه حتى توقعه في غرامها مستخدمة كل أسلحة المرأة وإما أن تنتقم ممن غدر بها في النهاية أو تتعاطف معه وتحبه إذ تكتشف إنه مظلوم وضحية مثلها كما في فيلم " دماء على النيل " لهند رستم وفريد شوقى أو فيلم " دعاء الكروان " لفاتن حمامة وأحمد مظهر، وأحيانا تجمع بين استخدام القوة مع أعدائها إلى جانب استخدام الغواية مثل فيلم "المرأة الحديدة " لنجلاء فتحي .

وفي السنوات الأخيرة دخلت تيمة قتل الأزواج بالساطور مما زرع الشك في صدر الأزواج ، وأغرى الزوجات بالانتقام من أزواجهم بالقتل لأقل الأسباب !!

تيمة الحب

وتيمة الحب في السينما المصرية تدعم مبدأ أن الحياة هي الحب والحب هو الحياة ولابد للشاب أن يمارس هذه العاطفة وأن يجعلها هي محور حياته وغايته من هذه الحياة وليضحى بكل ما يملك من أجل من أحب !!

ولا عجب أننا أن نرى صبياً أو صبية – فضلاً عن الشباب – لا يحلم بالحب وبالسعادة التي سيجنيها من وراء إقامة علاقة مع الجنس الآخر وألا يكتفي من محبوبته بمجرد النظرات البريئة ولا حتى الجلسات الرومانسية إنما يريد أن تمتد العلاقة حتى الفراش تماماً كما يرى في الأفلام .

أما مستقبله ومستقبل بلاده ، ودينه وأخلاقه والحلال والحرام ، والجنة والنار فهذا مما لا يخطر له على بال ، وإن خطر فهو لا يفعل حراماً فكل أبطال السينما

المحبوبين يفعلون هذا وأكثر ولا يتهمهم أحد بأنهم يرتكبون مخالفات شرعية ، حتى وإن كان هذا حراماً فإنه لا يستطيع الاستغناء عنه لقد تربى علـــى هـــذا وتفتحـــت عينـــاه عليه ، وفي النهاية يقولون لـــه حرام إن من يحـــــرمون هـــذه العلاقـــات والمخالفات الشرعية متزمتون وإرهابيون وعندهم مركبات نقص – كمـــا تـــصور الأفلام الملتزم الذي يحرم مثل هذه العلاقات بأنه عنده مركب نقص فيحرمه علـــى غيره ويفعله هو في السر – وأخيراً إن استطعنا أن نقنع واحداً بأنه حرام فإنه يقول كما قال أبو نواس عن الخمر

وإن قالوا حـــرام فقل حرام ولكن اللـــذاذة في الحـــرام

تيمة تفريط الفتاة في عرضها

ومن هذه الأفلام التي تناولت هذه التيمة فيلم " موعد مع السعادة " لفـــاتن حمامـــة وعماد حمدي ويحكى الفيلم عن إحسان تلك الفتاة الفقيرة التي تعيش مع أبيهـــا فـــي منطقة البحيرات الذي كان يرعى منزل أحد الأثرياء– عماد حمدي – الذي يحـــضر في أوقات متفرقة لاصطياد البط تقع إحسان – فاتن حمامة – في حب الشاب الثرى الذي لا يشعر بها مما يضطرها للتزين له لتوقعه في غرامها وبالفعل يستلفت نظره جمالها وتفرِّط له في شرفها وهو فاقد الوعي من شرب الخمر وعندما تكتشف أنهـــا حامل تهرب إلى القاهرة وتلد طفلتها ، ويسافر الشاب إلى أوربا لاستكمال دراســـته دون أن يعلم بحمل إحسان منه ثم يعود ليصبح طبيباً مشهوراً ويعمـــل فـــي نفـــس المستشفي التي تعمل فيها إحسان ممرضة ويتزوج بها ويعترف بابنته منها !

هل يعقل أن الفتاة الفقيرة الجاهلة مسلوبة الشرف أن تتزوج بـــشاب ثـــرى دارس للطب في أوربا وينتمي إلى أكبر العائلات ؟!

الفيلم يجيب عن هذا التساؤل نعم يمكن أن يحدث هذا بشرط أن الفتاة تحب الشاب وتضحي في سبيل حبها له حتى بشرفها ، أهذا ما تعلمه السينما لبناتنـــا أن يكـــون التفريط في العِرض محققاً للأماني المستحيلة بدلاً من تدميره للمستقبل المضمون ؟!

ونفس هذه التيمة في فيلم " ليلة من عمري " لنفس البطل عماد حمدي لكـــن هـــذه المرة مع شادية الأعجب أن الفيلمين أنتجا في نفس العام ١٩٥٤م وقصة فيلم " ليلـــة من عمري " تحكى أن فتاة تعمل في حقل من حقول العنب تقع في حب ابن صاحب

العزبة ويتورطان في علاقتهما وتحمل منه ويسافر إلى أوربا للدراسة وتطول غيبته، ويكتشف أبوها ما حدث بعد أن تظهر عليها علامات الحمل يهرب بها الأب إلى إحدى قريباته ، وتلد الفتاة مولودها ثم تعود إلى البلدة وستفسر عن أخبار حبيبها وبعد حين يعود ويتزوجها !!

نفس القصة ونفس البطل ونفس العام وأكاد أجزم أن هذه القصة مأخوذة من فيلم أجنبي اشتهر في ذلك الوقت فهرول صناع السينما – كما هي عادتهم دائماً – إلى تقديم نفس الفكرة دون مراعاة لقيم المجتمع العربي الشرقي المسلم !

نفس القصة قد تكررت بشكل أسوأ في فيلمين لم يفصل بينها إلا عام واحد وفكرة الفيلمين ببساطة – أو بوقاحة – أن فتاة تقيم علاقة بشاب تفقد على أثرها شرفها ويسافر الشاب وتحمل الفتاة يشفق عليها رجل ميسور ويتزوجها ويحسن إليها ويربى لها ابنها ، ويعود الشاب الذي ما تزال الفتاة تحبه – رغم زواجها بغيره – ويكتشف الزوج هذه العلاقة فينسحب بهدوء تاركاً زوجته وولدها لحبيبها القديم الذي هتك عرضها وتركها وهرب ، ويتنازل الزوج الطيب عن زوجته لهذا الشاب الطائش الفاجر رغم حبه الشديد لزوجته !!

هذه الفكرة القذرة بل المدمرة للفضيلة والمأخوذة عن قصة أجنبية مقتبسة عن قصة الكاتب الفرنسي مارسيل بانيول ، كالعادة ، تنتج عام ١٩٧٥ م بعنوان " نغم في حياتي " وهو آخر فيلم للمغنى الشهير فريد الأطرش ومرفت أمين ، وبعدها بعام تنج بعنوان " توحيدة " لنور الشريف وماجدة الخطيب وأكاد أجزم أنها مؤامرة لتقويض بنيان الفضيلة في بلادنا ولقد أتت هذه المؤامرة ثمارها فأصبحت الفضيلة في بلادنا الآن تخلف وأصبحت العفة والشرف تراث بائد غير مأسوف عليه !! وحسبنا الله ونعم الوكيل .

أفلام تجار المخدرات

وهى تصور لنا كيفية الكسب السريع دون عمل ، والثراء الفاحش دون جهد كبير، كما توضح كثير من الأفلام أن تجَّار المخدرات يتسترون وراء الدين فيظهر تاجر المخدرات في شكل رجل صالح محافظ على أداء العبادات وممسك دائما بالمسبحة مما يزرى بأهل الصلاح والتقوى ويجعل المشاهد ينظر بريبة لكل رجل

صالح متمسك بالدين بعكس أبطال الأفلام الفسقة الفجرة الذين تظهرهم الأفلام بأنهم النموذج المحتذى .

انظر فيلم " رصيف نمرة خمسة " وفيلم " الإمبراطور " وإن كانت الأفلام تنتهي – غالباً – بالقبض على تاجر المخدرات فإن هذه النهاية التي لا تستغرق بضع دقائق تأتى بعدما يكون المشاهد قد عشق حياة المغامرة والثراء السريع ، ويرى الشباب المحبط والعاطل في هذه الأفلام الحل السريع لكل مشاكله ، ويوهم نفسه بأنه سوف يصنع نهاية مغايرة للفيلم فيتجنب أخطاء البطل وبذلك تكون هذه الأفلام داعية للانحراف وليس العكس وهذا ما أثبتته الأبحاث النفسية والاجتماعية من أن أفلام العنف ، والمخدرات ، والجريمة لم تمنع العنف والمخدرات والجريمة بل بالعكس زادت من الجريمة والعنف والمخدرات !!

فأبطال هذه الأفلام ممن يحبهم الجمهور ويميل لتقليدهم و الاقتداء بهم ويترسخ حبه لهم والرغبة في تقليدهم في اللا شعور أو في الشعور .

والملاحظ على معظم الأفلام أنها تستخدم المرأة ليس كإنسانة لها كرامة وإنما كأنثى مثيرة لغرائز الرجال وفي هذا امتهان لكرامة المرأة ولقد جرى القائمون على فن التمثيل عندنا على نهج الفنانين الغربيين الذين قدموا المرأة بهذه الصورة المشينة وأخذوا هذه الصورة الجاهزة ولم يجهدوا أنفسهم لمناقشة قضايا المجتمع العربي . ما ضرهم لو قدموا الصورة الصحيحة للمرأة العربية المسلمة ووضحوا الطريقة القويمة للعلاقة بين الرجل والمرأة " إنّ الفن يحاول دائماً إبراز مفاتن المرأة ، وهو ما نلاحظه في اختيار المخرجين، والذين يمارسون الفن المسرحي والتلفزيوني والسينمائي، حتى على مستوى الفن الإعلاني الدعائي، فهم جميعاً يركزون على المرأة الجسد ، لأن المشاهد سوف يندمج بالمشهد أو بالصورة الإعلامية من خلال الإيحاءات الجنسية التي تُمثلها في هذا المجال ... إن المرأة لا بد أن تخرج للمجتمع كإنسانة لا كأنثى، لأن المجتمع ليس مكان عرض الأنوثة، باعتبار أن الأنوثة حتى في جوانبها الجمالية الفنية في الجسد – إذا صحَّ التعبير – تنفتح على الجنس، والإسلام لا يريد للمجتمع أن يعيش حالة طوارئ جنسية إنَّ هذا ينتج عن دراسة العلاقة بين الرجل والمرأة على أنها علاقة ذكر وأنثى، لكنّ المرأة عندما تخرج كإنسانة من دون مساحيق تجميل أو أساليب إغراء، فإنها لا توحي إلا بالاحترام والتقدير .

إن مشكلتنا أن الآخرين يصنعون لنا الظاهرة والخط ونحن نألفه، فإذا ألفناه أصبح طبيعة ثانية عندنا. حتى إن بعضنا يحاول تأويل الخطوط الإسلامية لمصلحة ما تعارف عليه الإنسان أو الناس . [١]

إن الدين كما بينا ليس ضد الفنون الجميلة إنما ضد الإباحية والفجور باسم الفن يقول الفنان إيمان البحر درويش :

" الفن الإسلامي وغير الإسلامي يجب أن تكون له قواعد، والعبارة المتعارف عليها والتي يطلقها جميع الفنانين في جميع اللقاءات أن الفن رسالة ، والمفهوم من الفن رسالة : أن يكون الفن الهادف الذي يضيف إلى الناس الأحاسيس الإيجابية، في العاطفة مثلاً يبعد عن إثارة الغرائز، ويسمو بالروح إلى أسمى المعاني ، وفي مجال الغناء الوطني يحث على الجهاد والشجاعة وإعداد القوة بكل أشكالها ؛ سواء نفسية أم مادية ، وفي مجال الدين: إظهار ما في الدين من سلوكيات ومن فضائل الأعمال، فلو تكلمنا عن الفن الإسلامي فلا يمكن أن يكون الفن الإسلامي هو الحديث عن الدين فقط؛ لأن الإسلام حياة قال تعالى: { قُلْ إِنَّ صَلاَتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاى وَمَمَاتِى لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } (الأنعام : ١٦٢) فمن المفروض أن يكون كل إنسان سواء كان فناناً أم غير فنان يكون أمامه القدوة الرسول ﷺ في جميع مناحى الحياة، فعندما يتخذ الفن مهنة فيجب أن يكون الفنان كالخطيب على المنبر أو المقاتل في الميدان من ناحية روح العمل ووجهته وتأثيره . وبذلك يكون الفن له رسالة واضحة للجميع ؛ سواء كان إسلاميًا أم غير إسلامي .. من الممكن جدًا أن يكون الفنان من خلال الأشرطة والمسرح والسينما وكل وسائل الإعلام المختلفة أن يكون داعية بشكل مؤثر أكثر من الخطباء في المساجد وأكثر من الكتاب في الصحافة، وذلك لأن الفن الممتع يؤثر بشكل قوى جدًا على الناس، والأمثلة كثيرة في التأثير السلبي فإذا استخدمناه في التأثير الإيجابي فأعتقد أنه سيكون مؤثرًا جدًا[٢]

ونختم هذا الموضوع بكلمة جامعة عن فن السينما وما تقدمه من أفلام تقولها ناقدة فنية وهى خيرية البشلاوي .

---

(١) السيد محمد حسين فضل الله مجلة «لها» ١٣ نوفمبر ٢٠٠٣ .
(٢) من حوار للفنان إيمان البحر درويش ، إسلام أون لاين

يرى المتابع المتذوق لفن السينما انطباعاً عاماً بالحصار ، فقد كان هناك في مجال النشاط السينمائي التجاري شبه مؤامرة على عقل المتفرج ومصيدة أصبحت تحيكيها الأفلام تحبس فيها عقل المشاهد داخل إطار واحد من التفكير وشكل واحد من أشكال المتعة وأصبح لا مفر من عالم يصنع قيمه بعيدا عن الواقع الحقيقي للناس معبراً عن واقع خاص لا ترى فيه سوى مجموعة بعينها من الشخصيات تصبح هي النموذج الأمثل في نفوس الجماهير التي تتردد على السينما ، ويصبح تمثلها ومكانها هي حلم الفتيات والفتيان على حد سواء . شخصيات على شاكلة "بمبة كشر" و "امرأة سيئة السمعة" و " المراهقين الثلاثة " ... إلخ .

فالدور الرئيسي الذي تلعبه الأفلام السينمائية في بلدنا والذي يمثله الجانب الأكبر من الإنتاج السينمائي المصري ما يزال حتى الآن يحث عن احترام الشطارة والفهلوة في شتى أشكالها وتمجيد الأنانية الفردية ، ويعمد إلى تلوين الواقع بألوان زاهية لا تكشف عن الحقيقة ، كما يعمد إلى تزييف التاريخ واختلاق أبطال وهميين لإخفاء الدور البطولي الحقيقي الذي لعبته الجماهير . بالإضافة إلى تمجيد النجاح الفرادى على حساب الآخرين باعتباره نجاحاً للأذكى والأكثر مقدره وقوة ، ولا بأس من استخدام أي نوع من الوسائل في سبيل تحقيق الغاية .فنحن نجد في هذه الأفلام تأكيدا على الانفصال الكامل بين مظاهر التخلف الأخلاقي والروحي وبين ينابيع الفقر والاستغلال والقهر . ويمكننا أن نضرب لذلك عشرات الأمثلة التي تشمل جميع ما قدمه مخرجون من نوع حسن الإمام وحسام الدين مصطفي وحلمي رفله بل والجيل الجديد من أمثال نادر جلال مثلاً . وليس مصادفة أن تزدهر هذه الأيام ظاهرة فتيات الشقق المفروشة في القاهرة وتحتل أخبارهن مساحات في الصحف والمجلات ، فنظرة على الأفلام تجعلنا ندرك جانباً من الأسباب التي تقف وراء هذه الظاهرة الغربية على مجتمعنا وأن ارتبطت بواقعه . إن أوضاع السينما المصرية لن تتغير ولم تساير أي نوع من التقدم رغم الأحداث الكبيرة التي مرت بنا وهى أوضاع تدفعنا إلى البحث عن مبرر هذا التخلف والتنقيب وراء سينما قومية تسعى إلى تحرير المواطن ماديا وروحيا والمحافظة في نفس الوقت على أصالته الإنسانية . (١)

(١) " موسوعة سينما العرب " اسطوانة ليزر " CD " شركة صخر لبرامج الحاسب .

ونحن إذ نقدم سلبيات السينما ليس هدفنا أن نقدم هذا النقد دليلاً للمحرمين للفنون على الإطلاق إنما نحن نذكر هذه العيوب ونحن آسفين وكنا نتمنى أن تؤدى هذه الفنون المؤثرة دوراً إيجابيّاً لخدمة المجتمع بدلاً من هذا الدور السلبي الذي يقوض قيم المجتمع ؛ فليست هذه الصورة المزرية التي عليها كثير من الفنون بالشيء المبهج إنما من الأشياء المؤسفة حقاً والتي كنا نتمنى ألا تحدث .

الفنون الغربية وأثر اليهود فيها

هذا عن فنوننا فماذا عن فنون الغرب ؟

لقد استطاع الغرب أن يسخِّر كثيراً من هذه الفنون لخدمة أهدافه ومصالحه فلقد سخرت الشيوعية والنازية والصهيونية هذه الفنون فنشرت أفكارها في كل بلاد العالم وأثَّرت في معظم شعوب الدنيا بأفكارها العنصرية أو الإلحادية أو الإباحية ودرَّت بالإضافة للدعاية لمذاهبهم الهدامة أموالاً طائلة فقد استطاعت أن تحشو رءوس العالم بأفكارها الخبيثة وأن تنظف جيوبهم من عملاتهم النفيسة ، فزيفت وعيهم ، واستولت على أموالهم !!

والأمثلة على ذلك كثيرة نكتفي بذكر فيلم " قائمة شندلر" وأترك الحديث للصحفية المصرية مها عبد الفتاح لتحدثنا عن هذا الفيلم الصهيوني وعن تأثيره الشديد ليس في الغربيين المتعاطفين مع اليهود بل تأثيره في العرب المسلمين المعادين للصهيونية وإلى أي مدى تستطيع الفنون خدمة أهداف دينية أو استعمارية بطريقة ساحرة ليس فيها إراقة قطرة دم واحدة .

ودونكم ما كتبته مها عبد الفتاح عن فيلم " قائمة شندلر" :

منذ سنوات شاهدنا فيلم 'قائمة شندلر' خمس نساء مصريات معاً دخلنا نشاهد فيلماً يعرض لمعاناة اليهود في أوروبا على أيدي النازي .. فيلم بلغ به مخرجه العبقرى "سبيلبرج" قمة الإعجاز في التأثير البليغ على المشاهد.. اختار له اللون الأبيض والأسود دون الألوان الطبيعية إلا في النهاية فقط .. الحركة وتحريك المجاميع والتقاط التعبير في السحنة والملامح بلغ بها المخرج ذرى الواقعية التأثيرية بالصورة قبل الكلمة فوصل بها إلى أعمق المشاعر في المشاهد واستولى على روحه يعتصرها في ذوبان من الانفعال من أول الفيلم لآخره على نحو منهك..

الذي حدث يومها أننا دخلنا الفيلم ونحن ابتداء شبه متنمرات ضد الموضوع ولأسباب كثيرة، سياسية وإنسانية وخلافه.. إنما الذي اذكره جيداً وسجلته في حينه ولا أكاد أصدقه الآن بعد زوال تأثيره أنه قد هزنا وأبكانا نحن المصريات الخمس إلى ذلك الحد وأسال دمعاً ساخناً ذرفناه وبقى يسح على نحو غير إرادي مع معظم مشاهد الفيلم إلى حد زجر بعضنا البعض خلال ذلك بتعليقات من حين لآخر لنوقف هذا الفيضان الجارف المسكوب منا ' كفاية هَمّ .. هل أصبحوا من بعض أهلنا ولا إيه.. بس.. إحنا ناقصين.'..كنا ننهنه مثلنا مثل الجمهور في السينما لا تعرف منهم من أي دين ولا ملة.. يبدو أن الفن يذيب المشاعر كما لا يذيبها شيء آخر يوحد بينها تماما كما قد يفرق بذات القدر وأكثر.. إنما ولا اذكر مخرجا سينمائيا آخر غير سبيلبرج استطاع أن يحقق معاً مثل هذا الكم من التأثير البالغ من خلال عمل سينمائي.. في النهاية خرجنا من السينما ونحن على نحو يدعو إلى السخرية .. عيون منتفخة وأنوف محمرة وحالة من الانفعال لا أذكر من مثيل لها مع فيلم آخر.. إذن لهذا الحد يبلغ مفعول الإبداع بل قل خطورته أيضاً .. وأظن ما كتبته يومها تعبيراً عن مشاعر خمس من المصريات مع فيلم قائمة شندلر قد ساهم ربما على نحو غير مباشر في منع عرض هذا الفيلم في مصر.. فما عاد ينقص إلا أن نقيم مناحة لضحايا النازية من اليهود بينما يهود في إسرائيل نهشوا الأرض الفلسطينية ويسومون شعبها العذاب ألواناً .. (١)

ولا يكتفي الصهيونية العالمية بتقديم الفنون الداعمة للمشروع الصهيوني إنما تحارب أيضاً أي محاولة لكشف هذا المشروع أو تقف عائقاً دون إتمامه كما فعلت مع فيلم " آلام المسيح " الذي أخرجه ميل جبسون فقد عمد جبسون إلى إظهار دور اليهود في حمل الحاكم الروماني على صلب المسيح رغم أنه كان غير راغب في ذلك فليس ثمة تهمة يمكن أن يحاكمها بها .

قرر جبسون أن يبعد بهذا الفيلم عن عباءة شركات الإنتاج اليهودية الكبرى في هوليوود متحرراً من تمويلهم وهيمنتهم ليقدم فيلماً يريده كمسيحى كاثوليكى محافظ أن يأتي الفيلم أميناً على الحقائق التاريخية والدينية وحدها.

---

(١) محمد عبد الفتاح " حرية المبدع والتمويل الأجنبي ". عن موقع " إسلام أون لاين "

لقد شن اليهود على جبسون حرباً شعواء في محاولة لوأد فيلمه "آلام المسيح" أو إجباره على إجراء تغييرات جذرية.. فلما رفض التغيير شنوا عليه حربهم الشعواء، فلما وقف معه مؤيداً كل من شاهد الفيلم في العروض الخاصة وواصل هو الإصرار على الصمود واستعصى عليهم ، حاصروا الفيلم عن طريق كبرى شركات التوزيع والتي من جراء ذلك لم تجرؤ أي منها الاتفاق على توزيع الفيلم وبعد أكثر من عام وجد الموزع الفدائي الذي قبل توزيعه في تحد وتقرر عرض الفيلم في ألفي دار للعرض بين أنحاء الولايات المتحدة .

فهل انتهت المعركة عند هذا الحد وتوقفت حرب المنظمات ضد الفيلم وصاحبه ؟ يبدو الأمر غير ذلك لان أحدث حلقات المعركة التي فرضوها عليه نجدها ذات شقين: شق منها يدل على إن ميل جبسون قرر الاستجابة نوعاً ما إلى ضغوط تلك المنظمات وقَبِل أن يحذف مشهداً واحداً من الفيلم عند عرضه على الجمهور وهو طبقاً لوصف المشهد كما جاء في ملزمة الأفلام للنيويورك تايمز هو الذي يظهر فيه الكاهن اليهودي الأكبر في نبوءة نذير إلى جموع اليهود لحظة صلب السيد المسيح فقال الكاهن قائلاً لهم باللغة الآرامية ما معناه أن دمه لسوف يعلق بنا وبأبنائنا "المشهد المحذوف وفق ما جاء في الصحيفة الأمريكية الكبرى يبدو فيه تاريخيّاً القائد الروماني "بونتيوس بيلاته" وهو غير راض عن المبالغة في إيذاء المسيح وزوجة هذا القائد تحذره من العواقب.. ولكنه ليهدئ من زمجرة اليهود المتجمهرين يوافق على أن يضرب السيد المسيح ضرباً مبرحاً ويعذبونه بالسياط ومع ذلك يطالبه اليهود ومعهم كاهنهم الأكبر حسب ما يجئ في الفيلم ويطالبون القائد الروماني بالمزيد.

هنا يقول القائد باللاتينية cccc homo بمعني: انظروا إليه.. فيبدو المسيح والدماء تسيل بغزارة منه ولكن الكاهن الأعلى يظل مصراً على ضرورة أن يصلب قائلاً بالآرامية اصلبوه" فيجيبه القائد الروماني بيلاته "ألا يكتفي بهذا ؟" فيزأر الغوغاء : كلا ! وعندئذ يوافق القائد الروماني على المضي في إجراءات صلب المسيح . [1]

(١) مها عبد الفتاح " من أسطورة الإبداع إلى عمق التأثير في الفن السينمائي." جريد أخبار اليوم ١٤ / ٢ / ٢٠٠٤ .

أرأيتم كيف يعمل اليهود لخدمة أهدافهم الاستعمارية وتأكيد أهدافهم العنصرية مستخدمين كل الوسائل المشروعة وغير المشروعة في تحقيق هذه الأهداف ، فينفقون الملايين على إنتاج الأفلام المدعمة لهذه الأهداف ، ويحاربون كل من يحاول قول الحقيقة وكشف افتراءاتهم ، وتجنيد فنانين في كل بلد في العالم للدعاية لادعاءاتهم .

ويذكر لنا محمد عبد الفتاح هذا المخطط ويصرح بأسماء أهم من جندوا لتحقيقه " في السنوات الأخيرة، ووفقاً لسياسة جون دلاس مدير المخابرات الأمريكية الأسبق، الذي وعى لنظرية " فتنمة الحرب " أي يحارب الفيتنامي فيتناميّاً آخر، بدلاً من الجيش الأمريكي، أو جيوش الحلفاء. انتقلت هذه النظرية إلى السينما حيث تم استخدام فنانين من نفس البلد الذي يراد اختراقه في صناعة أفلام تهدف إلى تحقيق ما ينشده الاستعمار الجديد. ومن هنا ظهر ما يسمى بالتمويل الغربي، لإنتاج أفلام تحمل أفكار ووجهات نظر صاحب التمويل أو لا تعاديه على الأقل. من هنا رأينا فرنسا وبلجيكا وسويسرا، تحتضن "شباب السينما الجديد" الذي يحلم بإخراج فيلمه الأول، وأيضًا أصحاب الخبرة الذين يريدون الاستمرار والتواجد، لذلك سرعان ما نرى أسماء بعينها مصرية وتونسية ومغربية ولبنانية وكلها تعمل تحت راية التمويل الغربي، فهناك يوسف شاهين، ونورى بوزيد، ومفيدة تلاتلي، ورانده شهال، ويسرى نصر الله، وأسماء البكري .

لذا جاءت "أفلام التمويل" وهى تهتم بتقديم "الفلكلور الشعبي" وطقوس العادات الشعبية من خلال حفلات الزار والمواليد والأفراح، بالإضافة إلى أفلام هدفها الفتنة الطائفية وازدراء الأديان مثل فيلم "متحضرات" اللبناني– المخرجة لبنانية، والتمويل سويسري فرنسي وأيضاً بعض الفنيين. وفيلم "المصير" الذي قدمه يوسف شاهين الذي لم ير في الأندلس، سوى محرقة للفكر الحر، لا ينقذه سوى مساعدة فرنسا ليصل للعالم!

خطورة الإنتاج المشترك أنه يأتي مستخدمًا نفس اللغة، والشخصيات ليبشر في صورة متخفية، تسلب المواطن انتماءه، وتحوله إلى حالم بعالم آخر، ليس وطنه وتربطه بعادات وتقاليد وتراث ليس له، في الوقت الذي تحقر فيه كل ما هو أصيل لديه! إن حرية المبدع يجب ألا تصطدم بحرية المشاهد في أن يعرف الحقيقة، وحريته أيضاً في أن يعرف من "يقف" وراء ما يقدم له ؟ ولماذا ؟!

التمويل الغربي حق أريد به باطل، واستغلال بشع غير إنساني للخواء الذي يعانى منه المبدع الذي فقد ارتباطه بجذوره الحقيقية. من هنا يأتي تحذيرنا من هذه الأفلام، التي تحاول أن تغزو عقولنا ووجداننا سواء أكانت مباشرة، من إنتاج الغرب، أو غير مباشرة يصنعها للغرب بعض منا! وسوف يأتي يومًا، تسقط فيه كل الدعاوى الباطلة . (١)

وانظروا كيف نجحت الصهيونية في خداع العالم وكسب تعاطفه وتأييد مشاريعهم الاستعمارية في الوقت الذي فشل العرب والمسلمون في كسب تأييد الغرب لنصرة حقوقهم المشروعة ، وهذا هو الفرق بين من يُصِرُّ على ركوب الجمل في سباق للطائرات النفاثة !!

***

(١) محمد عبد الفتاح " حرية المبدع والتمويل الأجنبي ". عن موقع " إسلام أون لاين "

obeikandl.com